المشرق

خزنة فرعون في بترا

للاب لويس جلابرت اليسوعي مدرّس الكتابات القديمة في المكتب الشرقي

سبقت لي في المشرق (ص ٤٥٧) نبذة في ذكر آثار بترا اذ تولّيتُ وصف كتاب نفيس نشرهُ العالمان برونو ودومازشكي في تعريف اقليم بلاد النبط في عهد الرومان. وهاءنذا اعود الى هذا البحث بعد ان تيسّر لي ان ازور بنفسي تلك الابنية العاديّة التي كنّا لا نكاد نصدّق كلّ ما يروى عن ابنيتها من العجائب فننسبهُ الى اقاصيص اشبه بما ورد في كتاب الف ليلة وليلة

وأملي بما أثبتهُ هنا من التفاصيل ان أبعث في خواطر بعض القرّاء الرغبة في مشاهدة تلك الطُرَف التي اصبحت قريبة منّا بفضل السكة الحجازيّة واضحى السفر اليها نزهةً للنفس بعد ان كان محفوفاً بالاهوال فيكفيك ان تركب القطار في محطّة القَدَم في دمشق فتقلّك في مدّة ٣٠ ساعة الى معان بعد ان تقطع على جناح البخار قسماً من حوران وكثيرًا من البوادي المقفرة التي لم يألفها سابقًا الّا شذوذ العربان وسائق الابل وهي اليوم تنظر باندهاش الى القُطُر الحديديّة التي تمرّ امامها كالبرق

واذا بلغتَ معان لا يفصلك عن وادي موسى وبترا الّا مسافة سبع ساعات تقطعها راكباً متن الجياد فتسير بين آكام حدباء ورماديّة اللون تنتصب فيها الصخور البركانيّة السوداء التي تغطّيها الاعشاب اليابسة بينها طاقات من الرَّتم الاخضر الى ان تلوح لك عن بعد قُلَل بترا الصخريّة تصهرها الشمس الهاجرة باشعّتها فتنبعث منها الحرارة كمن موقدة ناريّة. ومنظر هذه الصخور الغريبة كان الداعي لتسميتها باسم «بترا» اي الصفاة والصخرة

واذا ما دخل المسافر في وسط هذه الصخور وانحدر في اغوارها المقفرة حرجَ صدرهُ واحسَّ بشواعر من الرهبة تحيك في قلبهِ وهو يرى رضام الحجارة المتقطعة تحدق بهِ على هيئات غريبة . فيسير ساعةً بينها الى ان يؤدي بهِ السير الى وادٍ اوسع منهـا قليلاً يترقرق فيهِ جدول من الماء فيماين على طرفيهِ بعض المدافن المنقورة في الصخر

وهذه المدافن يستفزُّ لمنظرها السائح اذا عاينهـا لاوَّل وهلة فيأخذهُ العجب من اصحابها الذين اشتغلوها بالطرقة والمقراض في الصخر الصلد ثمَّ عزلوها عن الجبل الاصم وجعلوا باطنها كهوفًا ليرقد فيهـا موتاهم رقادهم الاخير واتَّخذوا لها المداخل الجميلة المزدانة بضروب النقوش فمنها ما يشبه الموشور المربَّع الزوايا على شكل المداخل الفرعونيَّة القديمة ومنها ما هو اعرق في القدم تُحرَف بطنوفها المصريَّة المستديرة يعلوها زينة من الدرج على طرز الهندسة الاشوريَّة والبعض منها اقرب عهدًا ترى عمدها ورؤوسها وعتباتها على طرز البناء اليوناني. فمن يحدّق ببصرهِ الى واجهات هذه المدافن يخلبهُ حسنها وينسب عملها في وسط الصخور الى سحر ماروت

ولكن هيَّا بنا الى الامام ها قد بلغنا الى سربٍ قد حُفر بايدي البُناة ليجمع بين واديين فتركناهُ من عن يميننا وواصلنا سيرنا في بطن الوادي الذي تتقارب جوانبهُ وتتضايق منافذهُ حتى كدنا ان نظنَّ بانسداد تلتهِ في وجهنا . الَّا انَّ الامر على خلاف ما ظننَّا فانَّ جدول الماء الذي سرَّ وصفهُ لم يزل على تمادي الاجيال يجري في خروق الصخر حتى فتح لهُ مجازًا حرجًا من الشرق الى الغرب . والمجاز يُدعى سيقـا دخلنا فيهِ كأنَّنا في دهليز حرج لا يتجاوز عرضهُ اربعة او خمسة امتار والصخور العالية محلّقة في الجو تكتنفنا يمينًا وشمالًا او تمدُّ رواقها فوق رأسنا على علوّ ثمانين مترًا الى مئة متر . وهو لعمري مرأى مهيب يأخذ بمجامع القلب ويقشعرّ لهُ البدن اذ لم نرَ حولنـا ديَّارًا ولم نسمع غير صوت حوافر الخيل الواقعة على حصى المسيل

على انَّ الطبيعة لم تتفرَّد وحدها بعمل ذلك المعبر فانَّ هنالك بعض آثار من ايدي البشر اوَّلها قناة لاصقة بالجبل كانوا يستجلبون فيها على ما يظهر مياه العيون النابعـة في تلك الانحاء. ثمَّ بقايا قنطرة كانت تقفل هذا المجاز فدعوها لذلك باب السيق . ومنها ايضًا مشاكٍ حفرها القدماء ليجعلوا فيها رموزًا دينيَّة وزيَّنوها بكتابات يونانيَّة تُرى بعض حروفها الَّا انَّ الامطار الشتويَّة قد سالت عليها فازالت صورها ولم تُبقِ منها

الّا آثارًا طامسة تشهد على قداسة هذه الامكنة في اعين شعوبٍ بائدة كانت تكرّم هذه الاماكن وتقيم فيها الادعية الى السماء.

وان عبرتَ هذا الممرّ تراكَ بغتةً بازاء صخرة محمرّة يبرزُ من تقاطيعها وجه بناية وردية اللون عادية الشكل بديعة الصنع تكسوها انوار الشمس الطالعة بجلبابٍ من النور. كأنّ المهندس اختار هذا المكان المستوحش القفر ليبهر النظر بعجائب البناء وبدائع الهندسة فيظهر الضدّ بالضدّ. ومما يشهد لهُ بسموّ المدارك انّهُ احسن وضع هذا البناء واحكم تنظيم اقسامهِ وابدع في مدّ اروقتهِ حتى انّ الذي يراه بعد عشرين قرنًا لا يتمالك عن الدهش والعجب كما أُعجب بنظرهِ النبطيّون واليهود واليونان والرومان الذين عايشوهُ لاوّل مرّة بعد نجازهِ فاطرأوا محاسنهُ التي احرزت لمدينتهم فخرًا عظيمًا. وكأنّ يد الدهر لم تجسر ان تمسّ هذه التحفة الفريدة بل افادتها رونقًا جديدًا والبستها ثوبًا من الورد مطرّزًا بصفرة ذهبيّة لا تستطيع الصور الشمسية ان تمثل بهاءهُ ودقّتهُ

وهذا البناء الفريد يدعوهُ اهل البادية الذين هناك «خزنة فرعون» وها نحن ندقّق البحث فيهِ ونحاول ان نبيّن غاية ابتنائهِ وهو سر من الاسرار المدفونة التي تزيد رغبةً في تعريف خواصّهِ (انظر الصورة ثم رسم البناء ص ٩٧١)

*

يتركّب بناء خزنة فرعون من طبقتين متباينتين يندهش الناظر لصورتهما وشكلهما. فالطبقة الاولى تشبه واجهة هيكل بديع وهي عبارة عن اربعة اعمدة سقط واحد منها فبقيت آثارهُ على الحضيض وفوق الاعمدة مدماك من الحجارة المنقوشة ثمّ افريزٌ مع طنوف ناتئة يعلوها مثلّث على جوانبهِ وفي وسطهِ نقوش هندسيّة. وترى مدماك الحجارة والافريز والطنوف تمتدّ يمينًا وشمالًا مقرونةً عن الواجهة الاصليّة وهي تستند من كل جهة الى عمود بحيث يُصبح مجموع اعمدة البناء ستّةً. وفي الفسحة التي بين العمودين الطرفيّين صورتان منقوشتان طمس بعضُ الجهّال رسومهما. والصورتان متشابهتان توازي الواحدة شقيقتها وكل صورة تمثل رجلًا لابسًا ثوبهُ منتصبًا يروض فرسًا جموحًا. وما بقي من هاتين الصورتين يدلُّ على انّ المصوّر كان اغربَ في حسنها ما شاء. امّا موضوعهما فقد أكثر منهُ للصورون الاقدمون ومنهُ امثلة عديدة

ووراء الاعمدة الستّة رواق ضيّق يجتاز منهُ الزائر الى ابواب البناء. وهذه الابواب

ثلاثة بابٌ اوسط بين العمودين الثالث والرابع وهو الباب الاصليّ يُصعد الى سوانهِ ببعض درجات وقد زُين بنقوش بديعة غاية في الدقّة لاسيما ما نتأ منها وهي حتى الان في تمامها . وعلى جانبي هذا المدخل يتخلّفُ عنهُ مدخلان ثانويّان يميناً وشمالاً وهما ايضاً منقوشان. ولا ريب انَّ هذه المداخل كانت موصدةً بابواب من الشبَّه المذهَّب يوافق حسنُها جمال البناء.

وقبل ان ندخل هذا الاثر الى باطن دَعْنا نتمم وصف خارجهِ . فانك ترى فوق المثلَّث الذي يعلو المدخل ومن ورائهِ قاعدةً افقيَّة بسيطة الشكل لا يزينها سوى شقَّةٍ ناتئة محلَّاة بالزهور يحدُّها سافٌ ناتئٌ من الحجارة . وفوق القاعدة واجهة ثانية تشبه الواجهة السفلى شبهاً عظيماً اللهمَّ الَّا ما يعلو الاعمدة الستة فانَّها لم تُزيَّن كالطبقة السفلى بالمثلَّث التامّ مع افريزهِ ونقوشهِ الجانبيَّة بل ترى المثلَّث مفرغاً في وسطهِ بعد العمود الثاني وبدلًا منهُ تنتصب بناية مستديرة مقبَّبة على شبه بنايةٍ ترى في مدينة اثينة وتُنسب الى ليزيقراتس وهي التي تدعوها العامَّة بفانوس ديوجانس . والاعمدة الواقعة على الطرفين تناسب الاعمدة السفلى وفي وسطها نقوش طمس حسنها الزمان . وعلى رأي المسيو دومازقسكي انَّ هناك صور نساء متجنّدات من جنس الامازون في ايديهنَّ الترس والفؤوس المحدَّدة الطرفين وهنَّ يرقصنَ رقصاً حربيًّا

امَّا تحت البناء المقبَّب فترى على جدارهِ صورة امرأة او إلاهة على رأسها قلنسوة كالصاع فوقها خمار . وهي تمسك بشمالها القرن الرمزي المعروف بقرن الثروة امَّا يمينها فتحرّك بها شيئاً يُظن انَّهُ اداة الرقص (sistre) التي كان يضرب بها الكهنة المصريون في عيد إلهتهم ايزيس وعلى جانبي هذه الصورة في الاطارين المتخلّفين شخصان مجنَّحان لعلَّهما إلهة الانتصار في ايديهما آلة يصعب تمييزها ومن المحتمل انَّها كالآلة الرقصيَّة السابق ذكرها

وفي قمتي زوايا المثلَّث يرى نسران قد قُطع رأسهما وهُشما . والبناية المستديرة تنتهي بشبه زهرة يعلوها قُلَّة . وهذه الزينة شائعة في بترا في اعالي مبانيها . وهناك مدفنٌ يدعى بمدفن القُلَّة لوجود هذه الزينة في قمتهِ . وكذلك يجوز ان يسمُّوا بهذا الاسم هيكلًا آخر يدعونهُ الدير. امَّا البناء الذي نحن في صددهِ فقد دُعيت قُلَّتهُ « خزنة فرعون » ثمَّ أُطلق الاسم على البناء باجمعهِ . واهل البادية اذا مرُّوا بجوارهِ اطلقوا بندقيتهم على القُلَّة وهم يزعمون انَّ فيها كنزًا دفيناً يُغنيهم طول دهرهم اذا امكنهم كسرها

واخبار الشرقيين في المطالب الدفينة والخبايا المجهولة مستفيضة شائعة لا يرون عالماً اجنبياً يزور اخربتهم الّا ظنوا انّ تحت الاخربة كنزاً مدفوناً جاء يطلبهُ . وقد ذهبوا الى ان الخزنة لا تزال في هذه القلّة لم يُصبها احد لسموّ ارتفاعها وصعوبة مرتقاها

امّا اذا سألت وماذا حدا بالعربان ان ينسبوا هذه الخزنة الى فرعون اجبناك انّ مخيّلة العامّة تعزو الآثار القديمة الى بعض المشاهير كما يفعل عندنا الاهلون بنسبتهم قناطر نهر بيروت ونهر ابراهيم الى زبيدة وكما ينسبون للقديسة هيلانة الابراج المشيّدة في القرون الوسطى على ساحل بحر الشام . على انّنا لا نعرف احداً من الفراعنة احتلّ مدينة بترا

وان امعنت النظر في مجمل هذا الاثر العجيب الذي نُقر كلُّهُ في الصخر اللهمّ الّا عموديهِ الاوسطين ثمّ بحثتَ عن طرزهِ وبُناتهِ امكنك القول دون عناء كبير بانّهُ من عهد الرومان تدلُّ على ذلك رؤوس اكلة الاعمدة التي بُولغ في نقشها على الطريقة القورنثيّة وكذلك تنظيم البناء وهندستهُ مع لبس الاشخاص المصوّرين فيهِ وهيئة النسرين فانّ كل ذلك لا يدع ريباً في الحكم بانّ البناء رومانيّ

ومما يؤيد هذا القول دليل غيرهُ لا يخلو من القوّة وهو انّ الرومان آخر من تولّى هذه الامكنة كما يشهد التاريخ على ذلك . والحال لو كانت خزنة فرعون سبقت عهدهم مع ما فيها من المحاسن التي تسبي العقول لتسارع المهندسون الى الاقتداء بهِ وتعدّدت الابنية المشابهة لهُ . والامر على خلاف ذلك فانك لا تجد بين تلك الآثار ما يشبه هذا البناء الّا عمارة واحدة وهي البناية المدعوّة « بالدير » فانّ بين الاثرين وجوهاً من التشابه كواجهتهما في طبقتيهما وكفّتهما المستديرة المنتهية في وسط المثلّث المقطوع الّا انّ هندسة اثر « الدير » ثقيلة مرصوصة لا تجد فيها الدقّة ومسحة الجمال اللتين في بناء خزنة فرعون

وقد زاد العلّامة دومازقسكي هذا البناء تعريفاً فابدى رأيهُ بأنّ بانيَهُ هو الامبراطور أدريان الذي زار بترا سنة ١٣١ للمسيح على انّنا بعد التروّي والتفتيش لم نجد في قول هذا الاثريّ الشهير برهاناً كافياً لتأييد هذا الزعم . واقوى ما اتى بهِ من الادلّة قولهُ بانّ ادريان القيصر كان متعبّداً للالهة ايزيس . ثم رجّح انّ هذا البناء هيكل أقيم تذكاراً لهذه المعبودة . وكلّ هذا كما سترى قول جزاف لا يتجاوز التخمين . وما

يمكن التسليم به انَّ طرز بناء خزنة فرعون يتراوح بين القرن الثاني والقرن الثالث للمسيح

*

ولكن يا تُرى ما هذا البناء؟ ما غايتهُ؟ أهو قصر او هيكل او مدفن؟ ذلك سرّ حاول كثيرون فكّهُ وينبغي لنا الجواب عنهُ . وقُبيل الامر دَعنا ننفذ الى داخل هذا البناء الذي لا يقلّ علوّ واجهتهِ عن ٦٠ قدماً . فليت شعري ألا يكون باطنهُ اهلًا بخارجهِ البديع ومحاسنهُ الداخليَّة شبيهة بجمالاتهِ الظاهرة؟ كلَّا ثمَّ كلا فانَّ الذي يتجاوز عتبة هذا البناء يخيبُ فيهِ املهُ فلا يرى في داخلهِ ما كان ينتظرهُ من البدائع

واوَّل ما يراهُ الداخل ردهةٌ واسعة مربَّعة مستطيلة ومن عن يمينهِ وشمالهِ حجرتان صغيرتان وامامهُ درجات يرقاها فتودي بهِ الى غرفة ثانية مربعة كالاولى واصغر منها . ولا ترى شيئاً سوى ذلك . والعجيب ان هذه الغرف ليس فيها منافذ للنور كما انها خلوٌ من كلّ زينة وكل هندسة . وكذلك المدخلان الجانبيان قد فُتح في كل منهما حجرة صغيرة دون ادنى زينة والغرفة الشمالية مربعة الزوايا منحرفتها اما الغرفة اليمنى فتجد في قلبها تقعيرين نُقرا على ما يظهر ليُجعل فيهما تابوتان (١

فترى انَّ كل هذه الزخرفة الخارجة لا تنتمي الى شيء يُذكر من المحاسن الهندسية الموهومة . وكفاك بذلك دليلًا على انَّ هذا البناء ليس بقصر لعمري أفيرضى ساكن القصور بقاعة لا يُضيئها نور ولا يهبُّ فيها الهواء . فانَّ الردهة الاولى عينها التي ينفذ اليها الضوء من مدخلها قاتمة مظلمة

فبقي ان يكون هذا الاثر اما مدفناً واما هيكلًا ولكلا القولين أنصارٌ يدافعون عنهُ (٢

واوَّل من ارتأى انَّ خزنة فرعون مدفنٌ انَّما هو الرَّحالة بُرْخَرْد في اوائل القرن التاسع عشر وقد وافقهُ على قولهِ غيرهُ من العلماء لكنَّ معظم الاثريين يعدُّون هذا الاثر

---

١) راجع كتاب المسيو دي لابورد De Laborde : *Voyage de la Syrie* ... Paris 1837, p. 57

٢) نختصر هنا ما جاء مطوَّلًا في كتاب الماجين برونو ودومازفسكي فاضا قد اودعا في كتابهما خلاصة اوصاف خزنة فرعون (ص٢٢٢–٢٣١) . ودوَّن المسيو دومازفسكي رأيهُ الخاص بهذا الصدد في الصفحات ١٧٩–١٨٨

هيكلًا منهم المشاهير إرْبي (Irby) ولاي (Legh) وستفنس (Stephens) وشوبرت (Schubert) وروبنصن وبرتون ومرتينو وستنلي . وزاد المسيو دومازفسكي على قولهم بانَّ الهيكل هيكل الالهة المصريَّة ايزيس . ولبيان مذهبهِ قد اتى بالادلَّة الآتية : منها انَّ في قمَّة المثلَّث الذي يزين الطابق الاسفل قاعدةً عريضةً توهَّم انَّ فيها صورة الشمس بين قرنَيْ بقرة وذلك رمز عن الالهة ايزيس . ومنها انَّ بين النقوش التي تُرى تحت الافريز الاكبر وفي اسفل المدخلين الثانويين من تحت الرواق صورة ابي الهول . وابو الهول كما لا يخفى من الصور المصريَّة . يُزاد على ذلك انَّ في جملة نقوش الافريز الثاني وفي افريز القبَّة المستديرة العليا حجابًا مقرَّنًا يُعرف بهِ الاله عشتون

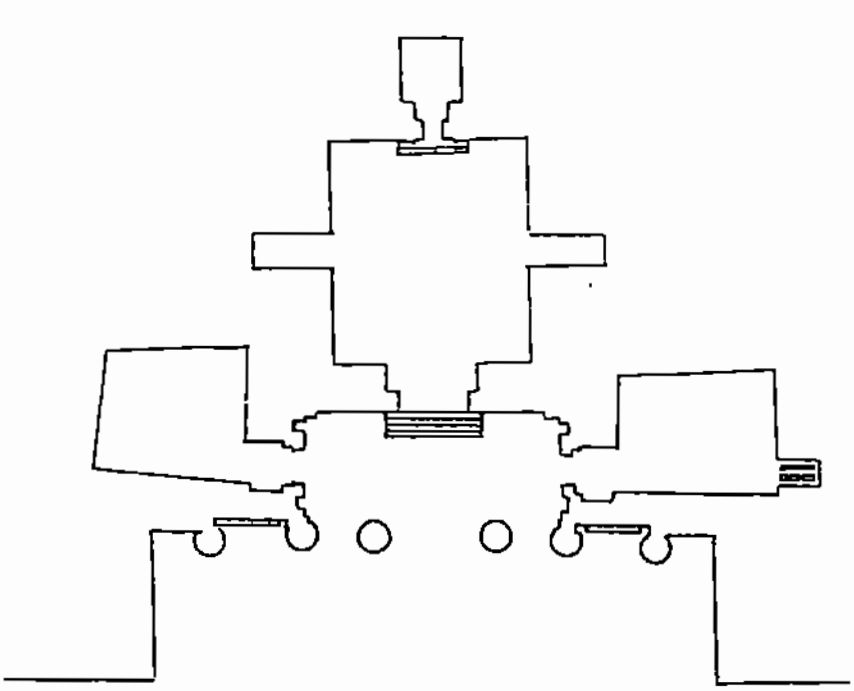

رسم بناء خزنة فرعون

فهذه الادلَّة حملت المسيو دومازفسكي على القول بان المرأة التي تُرى في الجدار الذي تحت القبَّة المستديرة انَّما هي الالهة ايزيس وادَّعى انَّ ما تمسكهُ بيدها هي اداة الزفن (sistre) التي خُصَّت بها ايزيس وان لم يمكن تمييزها في الصورة . وأيَّدهُ على زعمهِ انَّهُ وجد على مسافة من خزنة فرعون في قلب الجبل كتابات للزوَّار الاقدمين

بينها كتابة ظنَّ انها اسم الالهة ايزيس على هذه الصورة [illegible] فقرأها [illegible]

على انَّ هذه الادلَّة ليست بكافية للقطع بهذا الرأي. نعم أنَّنا لا ننكر وجود صور ابي الهول وحجاب الاله عمُّون. ولكن ايستنتج من ذلك انَّ البناء شُيِّد لاكرام الالهة ايزيس والكل يعلمون انَّ الرومان كانوا يمثلون في ابنيتهم تصاوير الآلهة لمجرَّد الزينة ليس للدلالة على الاكرام والعبادة ما لم يؤتَ ببرهان قاطع

وليست البراهين الاخرى مقنعةً فانَّ الكتابة التي تحتوي اسم ايزيس على رأي المسيو دومازفسكي مطموسة لا يمكن قراءتها وان سلَّمنا بصحَّتها لا نرى ما بينها وبين خزنة فرعون من العلاقة. والظاهر عندي انَّ هذه الكتابات منوطة بمكان آخر مقدَّس آلا وهو مقام المذلَّات والمذابح التي تنتصب غربيَّ البناء الذي نحن في صدده ويُصعد الى هذا المقام بدرج يُرى على مسافة خمسمائة متر من خزنة فرعون

امَّا صورة الإلهة ايزيس في البناية الوسطى المقيَّة فانَّ وجودها مشكوك فيه لا ترى لها شعاراً مختصاً بايزيس فانَّ اداة الرقص ليست بظاهرة وملابسها لا تدلُّ عليها ولا تجد في ثوبها «العقدة» التي تفرزها عمَّن سواها. وانَّ افترضنا انَّ هذه صورة ايزيس لا ريب فيها فلا يمكن الجزم بانَّ الهيكل مبنيٌّ لذكرها. ولا عجب ان توجد صورة كهذه على مدفن وايزيس كما هو معلوم كانت إلهة الجحيم لاسيما ان مدفناً عظيماً كهذا اشبه ببناء انتصار فيُزان بصورة تلك الالهة على هيئة الرَّفن والفرح

ومن ثمَّ لا اظنُّ لن تسمية هذا البناء بهيكل ايزيس صوابيَّة والمرجَّح عندنا انَّ هذا البناء ليس بهيكل. وما يحدو بنا الى هذا الرأي انَّ باطنه لا يليق باللاهوت وهو خلوٌ من كل زينة ليس فيه شيء من الرونق الذي يبهر عيون الزائرين للهياكل القديمة كمعابك وتدمر وباطن تلك الهياكل يفوق على مفاخر خارجها. ثمَّ انَّ كانت ردهة خزنة فرعون الكبرى هيكلاً ما معنى الغُرَف التي تُرى على جوانبها وما هي غاية الحجرة الداخلية التي يُصعد اليها بالدرج. وان قيل انَّ المهندسين لم ينجزوا عملهم من النقش اللائق بالهياكل فلذلك لا ترى في هذا الهيكل زينة كبيرة يبقى اعتراضنا عليهم بان هندسة الداخل لا توافق هندسة الهياكل. والامر يكون على عكس ذلك ان قيل انَّ هذا البناء مدفن فان نظام القاعات يوافق تماماً نظام

المدافن التي كانت تُتَّخذ على هذا الهندام اي ردهة كبرى يضاف الى جوانبها حُجر صغيرة مدفنية . وفي بترا عينها عدَّة مدافن على هذا المثال (١ . وهذه الغرف لم تكن لتحتاج لزينة في داخلها فينوب عنها رونق خارجها الذي يذكّر الاحياء عظمة الموتى الذين فيها

ويمكننا ان نزيد على ما سبق ان هذا المدفن لم يبقَ فارغًا بل قُبر فيه بعض الموتى وكان الرَّحالة دي لابورد سبق فاستلفت الانظار الى التقعيرين المحفورين في احدى الحُجر الجانبيَّة لوضع تابوتين . وحضرة الاب قاليه الصعودي اعلن سنة ١٨٩٨ بان في غرفة من الغُرَف الطرفيَّة لحودًا للدفن فيها عظام بشرية . ومهما كان من صحَّة هذا الامر فانَّ مجرَّد معاينة المكان تدلُّ على انَّ البناء المعروف بخزنة فرعون كان معبدًا مدفنيًّا ذا بهاء عظيم امَّا غير ذلك فلا

وان طلبت اسم باني الاثر او اسم الذي أُعِدَّ لقبره هذا المدفن اجبنا انَّ الادلَّة التي لدينا ليست بكافية لنبدي في الامر حكمًا ثابتًا . ومثل هذه المباني تُزان عادةً بكتابة تعرّف اسم صاحبها الَّا انَّ هذه الكتابة لم توجد حتى الآن ولعلَّ الوقت لم يسمح للبُناة بتهيئتها . وما لا ينكر انَّ المكان الذي تُجعَل فيه هذه الكتابات فوق الاعمدة خلوٌ من كل اثر ولا تجد فيه الثقوب التي يتركها المهندس للمسامير لتعليق احرف الكتابة الذهبيَّة كما ترى ذلك في مدينة نيم في الاثر الروماني المدعو بالدار المربَّعة او في حصن سليمان في هيكل بيتوقاتي (Boetocécé) . فلا يبقى الَّا القول بانَّ الكتابة كانت تُجعلت على سوارٍ او اعمدة مدفنية مقامة حول البناء يجمع بينها اسلاك معدنية تحدُّ مُلك الميت . او ان يُقال انَّ الورثة سهوا بعد وفاة الميت عن تدوين هذه الكتابة امَّا تغافلًا واما بخلًا

وخلاصة القول لا ندري حتَّى الآن ولعلَّنا لن ندري ابدًا اسم الدفين الذي قُبر في هذا المشهد الجليل أكان حاكمًا رومانيًّا او احد كهنة الاله ذي شرى او نجل بعض ملوك النبط او رجل من مشاهير اليونان او ايضًا احد وجوه هذه البلاد من المثرين المتولين قيادة القوافل . لكنَّ مدفنهُ قائمٌ كشاهد ناطق على تمدُّن ذلك العصر وعلى بطلان الامور العالميَّة

---

١) راجع كتاب المسيو برونو والاشكال التي وضعها تحت الاعداد ٢٢٦, ٢٢٤, ٢٢٣, ٢٤٠

رحلة

اول سائح شرقي الى امركة

(١٦٦٨ — ١٦٨٣)

عُني بنشرها وتعليق حواشيها الاب انطون رباط اليسوعي (تابع)

٣٣ السفر الى خوان كاباليكا (Guancavalica)

ومن بعد السنة طلبت اجازةً من الوزير لاروح الى جبال الفضة والذهب فاطاعني الوزير واصغى لطلبتي وكتب لي مكاتيب الى جميع حكام البلاد وابوشية القرى الذين تحت حكمه وصية عليّ بان يعزّوني ويكرموني وارسل رفيقًا رجلًا من جنوده لكي يسبقني في الدرب ويهيّئ لي ما احتاج من المأكول والمشروب والمنزل في بيت حاكم القرية. فخرجنا من ليما وهذا الرجل برفقتي قاصدين بلدة تسمّى خوان كاباليكا (Guancavalica) ثم سرنا يومين بدرب سهل وصعدنا في اليوم الثالث الى جبل الثلج ولا زالت الارياح والبرد شديدًا. فابتدأت تتغيّر امزجتنا وتقيّأنا من سبب اننا خرجنا من ارض شديدة السخونة وجئنا عاجلًا الى ارض باردة. ثم بعد ما صعدنا الى اعلى الجبل سرنا من مكان يسمّى برناده بريا كاكا يعني زمهرير السكر (؟) ومن هناك سافرنا فرسخين فتلاقيت مع رئيس رهبان مار فرنسيس الذي يُقال له بروبنسيال (Provin-cial) فسألني عن الدرب فحكيت له ما جرى علينا من تغير المزاج فعند ذلك افترق منا ورحل من درب اخر. ووصلنا في ذلك النهار الى نهر يسمّى نهر بوني وعليه جسر ممتد من جانب الى جانب منسوج من حبال القنب ومربوط بالاشجار فقمنا عليه بصعوبة واخذوا الخيل الى درب آخر مجردات وادخلوها النهر. ومن بعد عشرة ايام وصلنا الى البلدة المذكورة خوان كاباليكا وهي بلدة صغيرة فنزلت في دير اليسوعية. وفي هذه البلدة تختلف الارياح ثلاثة مرات في النهار ووقت العصر دائمًا تمطر. وهي ارض قليلة العافية لاختلاف الاهوية ولسبب الجبل الذي فيه معدن حجر الزيبق لانه مسلط على البلد

٣٤ معادن الزيبق

ثم اني رحت لانظر المعدن مع حاكم البلد فرأيت هذا المعدن وعظمتهُ ونظرتُ ايضاً ان الفعلة يقطعون الحجارة ويخرجونها من تحت الارض الى فوقها . ثم اروني كيف يخرجون الزيبق فادخلوني الى بيت جعلوا ارضهُ الخاشاً (ثقوبًا) ملصوقة بعضها موضوعاً في كل منها برنج (١ والبرانج مصفوقة ومنصوبة صفوفاً صفوفاً ولها فم واحد منصوب الى فوق والفم الاسفل مسدود وغير مفتوح كمثل ابران . فيضعون حجارة الزيبق بصنعة مصطفة فوق البرانج كمثل عمل الفاخوري في افران الخشف (الخزف) وكذلك ايضاً يضعون الحجارة على البرانج . وهذا البيت لهُ سقف مغطى لكن قوي عالي وفيهِ للخاش لاجل منفذ الدخان . ثم يضعون الحطب فوق تلك الحجارة ويضرمون بهِ النار فيشعل وتسخن الحجارة سخونة قويَّة ويجري منها الزيبق هارباً ومنحدراً داخل تلك البرانج . فعند ذلك يفهم معلمو الزيبق فيهدّنون النار ويخلونهُ يوماً وليلة حتى يبرد وبعده يرفعون الحجارة والرماد ويكبونهُ (يلقونهُ) خارجاً ويطالعون الزيبق من تلك البرانج . وهناك وكيل من جانب الملك يضبطهُ للملك . وهو يوفي لاصحاب المعدن اثنين وخمسين غرشاً حق كل قنطار وقنطار هذه البلاد هو ستة امنان خندكاري (٢ وبيع وكيل الملك القنطار بتسعين غرشاً لاصحاب معادن الفضة لاجل استخراج الفضة من الحجارة وسوف نتكلّم عن ذلك ايضاً . ثم اني قدمت هناك على هيكل لهم في وسط المعدن وباركت عليهم وعلى معادنهم (٣ وقدم لي اصحاب المعادن بشكاس (٤ مقدار خمسين قنطار من الزيبق وقالوا لي اصبر الى شهر بينما يخرجون الزيبق من الحجارة ويعطوني المبلغ المذكور . فمن سبب الاهوية المختلفة خفت فتركت هناك وكيلاً ليستلم منهم الزيبق وقتما يستخرجونهُ لكن

١) البرنج كلمة فارسية معناها النحاس ونظنُّها بمعنى المثابية والبرنية

٢) الخندكار لفظة مائلة بالفارسيَّة معناها السلطان

٣) قرأنا في كتب الاب فويه (Feuillée) المرسل الفرنسيسي في البيرو من معاصري صاحب الرحلة وصفاً مسهباً لهذه المناجم قال : ان مناجم الزيبق الشهير في كل امركة الجنوبية محفورة في جبل واسع بالقرب من غوانكافاليكا (Guancavalica) وهي ممتدَّة تحت الجبل حفر فيهِ منازل ودروب وسبد . والمناجم مضاءة بعدد لا يحصى من الشموع . ثم وصف استخراج المعدن وصفاً لا يكاد يفترق عمَّا جاء في متن رحلتنا سوى انهُ قال ان سعر القنطار ثمانين غرشاً

٤) بشكاس لعلها باش كاس ويظهر من القرينة انَّ معناها الهديَّة او البخشيش

عليهِ يسق (١ من الملك ان لا احد من اصحاب المعادن يقدر يبيع زيقًا ولا احد يقدر يشتريه . وان تجاوز احد هذا الشرط ينهبوا مالهُ ويحل عليهِ القتل

٢٥ مياه محجّرة — وصف الصبّير

وفي هذه البلدة يوجد جنس ماء لونهُ اسمر يجعلونهُ في وسط صناديق ويبقى ثمانية ايام في الهواء فيجمد حينئذٍ ويصير حجرًا يعمرون بهِ البيوت وانا نظرت ذلك عيانًا . واذا وضعوا في وسط هذا الماء خشبة وبقيت اربعين يومًا فيخرجونها من الماء نصفها حجر صوان والذي يبقى فوق الماء من الخشبة يبقى على حالهِ خشبة وانا اهداني احد رهبان اليسوعية صليبًا من هذا الجنس (٢

وبعد عشرة ايام خرجت من هذه البلد وصحبتي اربعة عشر رجلًا خرجوا يودعوني الى خارج البلد ثم افترقوا مني ورجعوا . وانا اخذت دربي قاصدًا بلدة تسمى اكوامانكا (Guamanca) . وفي هذا الدرب يوجد اشجار مختلفة الاجناس واكثرها اشجار يسمونها توكال اوراقها سمك كفين وما لها اغصان لكن الاوراق مشوكة وفي طرف الورقة تصير الثمرة ويسمى في لسان الهنود تونس وهذا الثمر كقدر بيض الدجاج لكن اصلب وداخلهُ حلو كطعم التوت وهو سهل ومبرد فمن خارج الثمرة يصير شوك ناعم فيلتزم الانسان ان لا يمسكها بيدهِ الّا بعد ان ينظفها من الشوك وهذا ممتلئ منهُ البر والجبال في ذلك الاقليم (٣

٢٦ الوصول الى اكوامانكا

ثم بعد اربعة ايام وصلنا الى البلدة المذكورة ونزلنا في دير اليسوعية لان رئيسهم كان رجلًا صالحًا وكان قد ارسل لهم مكاتيب يوصيهم على ان ينزلوني عندهم . وفي هذه البلدة كان لسقف غني جدًا لانهُ كان اولًا رئيسًا لديوان الايمان ويسمى الاسقف دون كريستوفلو دي كستيلو . وبعد ان استقريت في الدير تلك الليلة جاءني في الغد قسيسان

١) يسق كلمة تركية معناها مانع او محذور

٢) ذكر الاب فولبه المذكور هذه المياه المحجّرة قال : ان ماء هذا النبع غاية من السخونة حال خروجهِ ويتحجّر سريعًا اذا ما سال في الحقول . ومن حجارهِ يبني الياقون المنازل جاعلين المياه في قوالب مخصوصة حسب رغبتهم وحاجة العمارة ولا يتعب المحفارون وتقاشر التاثيل اذا ارادوا نقش تمثال فاذا ما افرغوا القالب وسكبوا فيهِ الماء جاء التمثال حجرًا بديعًا ينحتونهُ قليلًا زيادة في اتمامهِ

٣) هو وصف ثمرة الصبّير المعروفة

من جانب الاسقف يهنئاني بوصولي. فثاني يوم باكرًا رحت انا زرتهُ فقام هو ايضًا بنفسهِ والتقاني وسألني عن حالي وعزمني الى دارهِ حتى اتغدى ذلك اليوم معهُ فطاوعتهُ وتغديت معهُ . ومن بعد الأكل انعم عليَّ بجزيرِ ذهب يسوى مايتي غرش. فلمَّا سمع اكابر البلد بالاكرام الذي عملهُ لي هذا الاسقف المبارك جاءوا جميعهم زاروني. ومن بعد اربعة ايام خرجت مع راهبين يسوعيين ورحت زرتهم واوفيتهم زيارتهم كعادة تلك البلاد . ثم الاسقف ارسل لي رفقة ليدلوني على بيوت الذين جاءوا زاروني لان اليسوعية كانوا قد كتبوا اسماء الذين زاروني واحدًا واحدًا. وفي هذه البلدة كنائس وديورة غنيَّة جدًّا . فمن بعد ما زرتهم وارتحت ثمانية ايام رسم هذا الاسقف ان يعملوا كوميديه يعني تقليد القديس رجل الله الروماني الذي يسمى باللسان الفرنجي سان ايليسوا (Alexius) وفي العربي مار ريشا . وهذه الكوميديه هي تشخيص ما عمل هذا القديس وكيف اعطى خاتمهُ لعروسته وشقَّ الحيط وطلع راح يسوح في الدنيا (١. فحضرنا هذا التقليد وانشرح خاطرنا وكان اناس هذه البلدة يكرموني للغاية بسبب ان الوزير كان قوي صاحبي وبقيت في هذه البلدة عشرين يومًا في غاية ما يكون من الانشراح

٢٧ السفر الى كوسكو

ثم خرجت من هناك قاصدًا بلد تسمى كوسكو (Cusco) . وخرج حاكم البلد ورئيس اليسوعية مع رفقائهِ وغير اصحاب ليودعوني فسافرنا نصف فرسخ ثم تودعنا وافترقنا فهم رجعوا الى البلد وانا ظأيت (ظللت) مسافرًا. ومن بعد يومين وصلنا الى نهر يسمى بوريا (Apurimac) وكان على هذا النهر جسر ممتد منسوج من عروق الاشجار والاغصان عرضهُ ذراع اقل ام ازيد وطولهُ عشرين ذراعًا . فجزناهُ بصناعة عظيمة مع خرف شديد لان الاحمال يحضرونها عن الابغال ويدخلها الهنود على ظهرهم الى جانب الاخر واحدًا بعد واحد . واما البغال فيزلطونها من جلالاتها ويجيزونها الجسر فاذا سقطت رجل البغل بين الخشب الممتد على ذلك الجسر حينئذٍ يخاون رووس الخشب فيسقط البغل من ذلك العلو الى وسط الماء ويسبح ويفوت الى الجانب الاخر . فبهذا

١) اخبار مار ريشا مشهورة . (اطلب المشرق ٨ : ٦٥٠)

التعب العظيم جزنا بسبب ان الجسر يتجوجح وينهز كالمهد لمَّا يدوس الانسان عليهِ . فلمَّا حصلنا في ذلك الجانب شكرنا الباري تعالى على خلاصنا . فاما الهنود بسبب انهم يعرفون السباحة فاذا سقط احدهم في الماء يخرج سالمًا . ومن هناك سرنا في الدرب فوجدنا اجناسًا من الحيوانات منها خيل وافراس وحشية وبقر إيل وبغال وحمير وغير اجناس أُخر وهي تعيش في تلك الجبال المقفرة وما لها اصحاب . وجنس حيوان آخر يسمى يكونيا وهو كصورة الغزال لكن بلا قرون . فهذا الحيوان قوي انيس لمَّا ينظر اناسًا لم دوابًا مجتازين ينحدر من الجبل ليتفرج عليهم . وعددها كثير . وانا كان عندي كلاب للصيد وبندقية فقتلت بعضًا من هذه الحيوانات ولحمها لا يأكلهُ غير الهنود وصوفها ناعم كالحرير يصنعون منهُ البرانيط اي الشيقات وهو شبه التفتيك (١ لكن لونهُ عسلي كلون الغزال (٢ وفي بطن هذا الحيوان يوجد حجر البازهر بين كُليَتَيهِ . فيخرجونهُ ويبيعونهُ بثمن غالٍ لانهُ نافع للسموم (٣

٣٢ السفر الى ابانكاى (Abancay)

وبعد ثلاثة ايام دخلنا الى مزرعة قصب السكر وتسمَّى الارض شبنكاي . وهذه الارض هي لليسوعية ويخرجون منها كل سنة ثلاثين الف خندكاري من السكر . والفلاحين الذين يفلحون كلهم عبيد سود ويشتغلون في عمل السكر

---

١) الشيقة هي البرنيطة ولعلها تعريب (chapeau) امَّا التفتيك فهو نوع من الصوف الناعم

٢) قد جاء وصف هذا الحيوان المسمَّى (la Vicuna) او (le Guanaco) في كثير من الاسفار الامركيَّة وكانوا يستخدمونهُ لنقل المعادن في الطرق التي يتعذر على الدواب سلوكها

٣) البازهر او البازهر كلمة فارسيَّة معناها الترياق (من پاو = نظف وزهر = سم) وقد اشتهر هذا الدواء بين اطباء العرب واشتدت شهرتهُ مع اسمهِ الى المغرب فيقال (Bezuar) بالمثلثة البرتغالية او (Bezoard) بالافرنسية . قال الشيخ الشفاشي : هذا الحجر بايدي الناس صنفان احدهما حيواني والاخر معدني ومعدنهُ بين جزيرة ابن عمر والموصل وهو هناك كثير ويوجد منهُ حجارة كبار وهو حجر رخو ابيض الحكاكة . واما الحيواني فهو المقصود بالكلام في هذا الحجر والباب هو حجر خفيف هش اصفر منقط نقطًا خفيفة وهو ذو طبقات بعضها على بعض وينحلّ سريعًا اذا حُكَّ ومحكهُ الى البياض واعظم ما يوجد منهُ من مثقال الى ثلثة مثاقيل يؤتى بهِ من بلاد فارس من تحوم الصين والحيوان الذي يوجد فيهِ البازهر هو الايل الذي يكون بتلك البلاد واسمه عجمي اصله في لغة الفرس باكزهر اي منظف السم من الجسد وخواصه النفع من ذوات باجمعها وهو يخرج السم بالعرق ويخلص من الموت . الخ » وقد اعتبر في القرون الماضية كاعظم الادوية وذلك خرافة لم يثبتها العلم

ومنها سرنا الى البلدة المذكورة بعد ثلاثة ايام فوصلنا اليها . وهذه البلدة كان يسكنها ملك الهنود المسمّى وازاواليا انيكا اخو الملك واسارينكا المذكور فلمّا وصلنا قريباً من البلد وسمع الرهبان اليسوعية خرجوا امامي واخذوني الى ديرهم بالترحيب . وهذا الدير كان قديماً قصر الملك المذكور ووسع هذا الدير مع بستانه قدر نصف بلد . ودير الراهبات ايضاً هو داخل القصر . ووجدنا هناك من الحجارة المنحوتة من الهنود القدماء بغير آلة الحجّارين الحديديّة . وهي مشغولة بغاية الرستاق (١

وسكان هذه البلدة يومئذٍ اربعة الاف بيت سبنيوليين وثلاثة الاف بيت هنود ولهم اسقف رجل صالح مع بقية طوائف رهبان ومدارس لاجل اولاد السبنيولية ومدرسة اخرى بناها اليسوعية لاجل اولاد الهنود . ومن قبل ان اجوز في هذه البلد بمقدار ميل كان خرج لاستقبالي قسيسان من طرف الاسقف وحاكم البلد مع اليسوعية المذكورين واخذوني الى البلد بمقدار ميل والاسقف كان قاصداً اني انزل في داره لكن اليسوعية ما تركوني بل انزلوني عندهم . وقصد حاكم البلد ان ينزلني في داره لكني ابيت من الاسقف ومن الحاكم الذي كان صاحبي وجئنا من اسبانيا رفقة . وهذا الحاكم لمّا وصلنا الى ليما تجوّز (تزوّج) مع بنت اعطتهُ نقداً ماية وخمسين الف غرش كعادة بلاد النصارى ان البنت تعطي نقداً للرجل حسب حالها والاشراف كشرفهم . وفي اليوم الثاني جاء اسقف البلد زارني وجاء ايضاً باقي الاشراف وروسا الديورة . ومن بعد اربعة ايام خرجت انا واثنان من الرهبان اليسوعية في عرباني (٢ واوفيت زيارتهم

٢٥ وصف ابانكاي

ثم طلبوا مني ان اقدس في الكنيسة الكبيرة في حضرة الاسقف والقسوس والاعيان وباقي العوام فقدست لهم قداس باللسان السرياني الشرقي . وايضاً اهل الديورة والكنائس بقوا يجيئون ياخذوني حتى اقدس عندهم وكان عندي شمامسان يخدمان قداسي وكنت عندهم بعز وكرامة وكانوا يهدوني هدايا من ديورة الراهبات ومن غير اماكن وارسل لي ديولن القسوس الذي للكنيسة الكبيرة هديّة لائقة وارسل

---

١) الرستاق او الرزداق السطر من النخل والصف من الناس معرب راست التي معناها الخط القويم بالفارسيّة وتأتي في اللغة العاميّة بمعنى ترتيب ونظام

٢) او عربه كلمة فارسية بمعنى مركبة

لي ايضاً اسقف البلد هدية بذلك المقدار وكان بعض اصحاب اعطاني عربانى لاخرج الى خارج البلد واتفرج على عمائر الهنود القدماء . فمن جملة ما نظرت قبور الهنود الذين في زمان كفرهم كانوا يدفنون ميتهم على وجه الارض ويعمرون فوقهُ قبرًا مرتفعاً جدًّا بطول ذراعين وعرضهُ ذراع ونصف وطولهُ ثلاثة اذرع وهذه القبور منفردة عن بعضها كل واحد على جانب

وفي تلك الايام صار زلزلة عظيمة خارج البلد على نحو فرسخين وكان هناك جبل منصوب على نهر جارٍ فسقط الجبل من تلك الزلزلة في وسط النهر وسد جريان الماء فطاف ماء النهر على الارض واهلك مزارع ثلاث قرى وفي سقطة الجبل في ذلك الحين وتلك الساعة صارت ايضاً زلزلة في بلدة ليما وخرج الناس من البلدة لخوفهم لانهُ سقطت منازل كثيرة مع بعضها كتائس

وفي ذلك الحين جرى امر من ملك اسبانيـة في عزل الوزير صاحبي المذكور وانا بقيت خمسة اشهر في هذه البلد انكوسكو المذكورة وكان ذلك بسبب عرض الشتاء وزادت الانهر المدينة المجاز

٢٦ هنود بوقرتنبو (Paucartambo)

ثم بعد هذا الزمان المذكور خرجت من تلك البلدة متوجهاً الى بلدة تسمى بوقرتنبو وبعد سفر ستة ايام وصلنا اليها وفي الستة الايام المذكورة كنت انام كل ليلة في ضيعة وعند دخولي الى هذه البلدة خرج بعض اناس مع رهبان مار عبد الاحد وحاكم البلد للاقاتي . فاخذوني الى داخل البلد بالترحيب فنزلت في بيت الحاكم لانهُ كان خادم الوزير صاحبي . وهذه البلدة هي سقر يعني حدًّا ما بين الهنود انكفرة والسبنيولية والهنود يأخذون الرجال والنساء والاطفال الى ارضهم ويستعبدونهم ولما يكون عندهم عيد ام عزيمة يذبحون واحداً من السبنيولية ويشوونهُ ويأكلونهُ . وعند هؤلاء الهنود يوجد جنس حشيش اذا علكوهُ يسكرهم ويطيهم شجاعة وقوة كشراب الخمر يسمى ذلك الحشيش كوكا (Coca) (١ . وما يوجد عندهم لا قمح ولا شعير سوى دور مصر

١) الكوكا حشيشة لها خاصة معروفة لتقوية اعضال الجسم وقد اشتهر الان استعمالها في الصيدليات . قال احد الرحّالة المعاصرين لكاتبنا : ان الوطني في ضواحي كوسكو يمتنع من الطعام ولا يمتنع عن مضغ حشيشة الكوكا فانهُ يجد فيها طعاماً وشراباً ودواء .

(الذُرة) (١ ويجعلون من هذه الدرر بوزه ويشربونها فتسكرهم كالعرق . وهؤلاء الهنود كثيرو العدد وشديدو القوة وما يقدر السبنيولية ان يقاوموهم لانهم ساكنون في جبال شاهقة وعليهم امير مدبر وهو الذي يحكم عليهم

٣١ معادن الفضة

ثم بعد ثلاثة ايام خرجت من هذه البلدة متوجهاً الى معدن الفضة المسمّى قندونوما (Condonoma) وبعد يومين وصلنا اليه . فمن زيادة البرد وشدة الزمهرير ما قدرت امكث هناك غير ثلاثة ايام وبعد ذلك رحت الى معدن آخر يسمى قليرما وهو درب يوم عند جانب قرية صغيرة يخرجون هناك الفضة . وفيها تفرجنا على اخراج الفضة وكيف يطحنون الحجارة مثل التراب ويجعلونها في الماء كالطين وبعد ذلك يزجون فيه الزيبق وطول النهار يحركونهُ مقدار عشرة ايّام او اثني عشر يوماً والزيبق يجمع الفضة ويلتصق بها . ومن بعد الايام المذكورة يغسلونهُ في حوض مجلّد بجلود البقر والماء ياخذ التراب ويوديه . والفضة ترسخ (ترسب) الى اسفل . هذه الصنعة تفرجت عليها عياناً

ومن هناك خرجت الى قرية تسمى لانبا (Lampa) وبعد يومين وصلت اليها ونظرت هناك الهنود يعمرون كنيسة جديدة وقسيسهم اسبنيولي لهُ عندهم مقدار ثلاثين سنة . وهذا القسيس غنيٌ جدًا فخرج (صرف) على عمارة تلك الكنيسة مايتي الف غرش . ومكثت تلك الليلة هناك وثاني يوم رحت الى معدن اخر يسمى بونو

٣٢ مقتل احد المتمولين ظلماً

وصاحب المعدن بونو رجل غني اسمهُ دون خوسيف سليدو يعني يوسف من مدينة سيوليا وكان يحلي عشور الفضة الى الملك مليونين وسبعماية الف غرش وذكروا لنا ان هذا الرجل كان يخرج من هذا المعدن كل يوم ستة آلاف غرش . فحسدهُ بعض اعدائهُ وقاموا عليه بهتاناً وشهدوا زوراً قائلين ان هذا قد اتفق مع اناس بيض ويريد يصير حاكماً في هذه البلدة فكتبوا الى الوزير عن ذلك . فقام الوزير وجاء اليه الى جيل يسمى معادن بوتا حيث كان سكن هذا الرجل المذكور ومسكهُ واخذهُ معهُ الى بلد ليما وشنق من اصحاب هذا الرجل بعض اناس وضبط اموالهم كما ضبط هذا

---

١) درر ولعلها درا مصراسم للذرة على لسان العوام حتى في ايامنا ولعل ذلك لاشتهار الذرة المصرية

المعدن للملك وضبط ايضاً الحجارة التي كانوا طالعوها من المعدن ليخرجوا فضتها وكان وزنها عشرة الاف قنطار . وحبسهُ الوزير في السجن والزموا عليهِ القتل فطلب من الوزير قائلاً : اعرضوا امري الى اسبانية للملك فان امر بقتلي فاقتلوني وان امر باعتاقي فاعتقوني وانا أفي جميع ما قرَّيت فيهِ وها انا في حبسكم مضبوط . فلم يسمع الوزير والديوان لاقوالهِ بل سجلوا عليهِ القتل من طمعهم وكانت الضيع والبلاد من الفقراء والرهبان والراهبات والايتام والارامل يستغيثون لله لاجل خلاصهِ لانهُ كان في كل عام يفرق من الحسنة ثمانين الف غرش وامر الوزير القاسي القلب بخنقهِ نصف الليل وبعد قتلهِ ارسلوا معلمين ليذوبوا تلك الحجارة ويطالعوا منها الفضة فلمَّا القوها في النار ظهرت اشارة الله وتحولت تلك الفضة الى رماد وصار ذلك عجباً عظيماً للناظرين والسامعين . واما المعدن الذي كان يخرج منهُ حجارة الفضة فطاف بالماء وغرق وعدموهُ . وصارت هذه العجوبة ثانية . واما الوزير الذي قتلهُ ظلماً فبعد خمسة عشر يوماً بينما هو داخل الى مخدعهِ تراءى لهُ ذلك المقتول ظلماً كأنهُ واقفٌ على الباب فلمَّا نظرهُ اعتراهُ الخوف والرجفة ودخل مرتعدًا من ذلك المنظر فسألتهُ امرأتهُ السبب فحكى لها ما نظر ثم وقع في الفراش مريضاً وبعد ستة ايام مات وصارت هذه ايضاً العجوبة ثالثة امام الحاضرين والسامعين . والقاضي الذي سجل قتلهُ انشلَّت بعد ايام قليلة يداه ورجلاه . وهذه صارت عجيبة رابعة . لان هذا الرجل المقتول كان ذا خيرات وانعام مثلما سبقنا في القول وخيراتهُ لا توصف وكان ابًا للايتام والارامل وشفوقًا على الفقراء والمساكين ومعتقدًا الديورة بكل الصدقات والنذورة وكان ينقد البنات الفقيرات ويزوجهن ولم يزل طول عمرهِ في عمل الخيرات حتى انهُ في جمعة الآلام ارسل مع اخيهِ الى بلد انكوسكو سبعين الف غرش ليقسمها على الكنائس والفقراء

ولما كان هذا الرجل في الحياة قبلما يُقتَل بمدة قليلة اقبل رجل فقير ذو عيال كان قد رافقهُ في المركب لما جاء من اسبانية فعرَّفهُ عن اقنومهِ وعرض عليهِ حال فقرهِ وكثرة عيالهِ . فلمَّا علم ان هذا كان رفيقهُ تحنن عليهِ وزعق (دعا) وكيل مالهِ واعطاهُ مفاتيح الخزنة وقال لهُ : خذ هذا الفقير الى الخزينة واتركهُ ياخذ قدر ما يريد من بارات الفضة فلمَّا حصل ذلك المسكين في الخزينة اخذ اثني عشر بارة (١ وكل بارة تسوى الف وثلاثماية

(١) بارة كلمة فارسية بمعنى القطع ثم جاءت بمعنى الهدية لعلَّهُ اراد البدرة من المال

غرش واخرجها خارج الخزن وراح يستكثر بخير ذلك الغني فسأل الغني وكيل مالهُ قايلًا : كم بارة فضة اخذ هذا الفقير. فقال لهُ : اثنتي عشرة. فرجع وقال للفقير : يامسكين لماذا لم تاخذ ازيد من هذا العدد . ثم انهُ استكثر بخيره وانصرف . ولهُ على هذا المثال عمل خيرات زائدة الوصف. وكان لهُ اخ مختفٍ فلمَّا جاء وزير اخر ليحكم في ذلك البلد عرض على الملك امر الرجل المقتول ظلمًا . فصعب ذلك على الملك والديوان لانهُ كان لهُ نجمٌ سعيد ينفع الفقراء والمساكين وخزينة الملك . فخرج امر من الملك بالانعام على اخيهِ المختفي وان يعطيه الوزير خمسين الف غرش من خزينة الملك وامرهُ ان يرجع يفتح معدن اخيه

فامَّا انا ما لحقت ذلك المقتول في ايام حياتهِ لكن تصاحبت مع اخيهِ الذي يسمى دون كسپار دوسليدو . وهذا كان يجاهد مع مائة نفر ليفرغوا الماء من المعدن . وقال لي ذات يوم : يا صاحب لماذا تروح الى اسبانية بالعجل اصبر هذه السنة حتى تنظّف المعدن واجهزك من الفضة بالذي يقسم الله . لكن انا ما قدرت بسبب الوزير صاحبي المعزول الذي كان راجعًا الى اسبانية وهذا صار السبب المانع (ستأتي البقيَّة)

الحيوانات السامّة

في الجزيرة والعراق وما جاورهما

لحضرة مكاتبنا الفاضل الاب انستاس الكرمليّ البغدادي

﴿ تمهيد ﴾ قد كثرت كُتُب الافرنج الباحثة عن العراق والجزيرة وما جاورهما وقد طرقوا فيها كل بحثٍ مما تلذُّ مطالعتهُ ويُحبُّ الوقوف عليهِ ارباب العلم الَّا انني لم أرَ من تعرَّض لذكر بعض الامور العلمية الصرفة كذكر الحيوانات السامَّة مثلًا للاصقاع المذكورة . ومن ثَمَّ فاظنُّ انني اذا خدمت الباحثين في مثل هذا الموضوع الجليل لا ينكرون فضلي ولا سيَّما ان ما جمعتهُ في هذه المقالة هو نتيجة عدَّة تجوُّلات في ارجاء هذه البلاد التي قطعتُها شمالاً وجنوبًا شرقًا وغربًا ممَّا لا يتوفَّق الى العثور عليهِ من كانت لغتهُ العربية ليتمكن من القاء الاسئلة على الاعراب . فضلًا عن ان في ذلك فائدةً اخرى لغويَّة وهي ان بعض اسماء هذه الدويبات قد اعتُبرت ممحوَّة من سِفر مُستعمَل

كلام العرب لانقراض اهلها ومصطلحاتهم . ونحن اليوم نتصوَّر ان قد فاتنا حقيقة تلك الاسماء ومسمَّياتها وما يقابلها عند الافرنج وهو قضاء مبرم لا علاج لردّه . وعليه فاثبات وجودها وذكر ما يقابلها عند الأجناب يكون بمنزلة نشر مَيِّت من قبره واعادة شيخ الى سنّ شبابه بعد أن أوغل في كبره . فاقول وبالله التوفيق

انواع الحيات السامة وذكر اسمائها ومواطنها المعروفة عند اهلها

﴿ الحيَّات ﴾ عليك ان تعلم اولًا بمنزلة ضابط عامّ انهُ لا يوجد حيَّات سامّة في داخل المدن الّا نادرًا وذلك في كل العراق والجزيرة . واما محلُّ وجودها الاعتيادي فهو ضواحي المدن ولاسيما الصحراء الواسعة الأكناف الواقعة في غربيّ سَقْي الفرات وشماله الغربيّ المعروف عندنا باسم « الچول » (بچيم فارسيَّة مثلثة) او « الشَوْل » في لغة بعضهم . وقد لاحظ مسلمو بغداد هذا الامر منذ قديم الزمن فنسبوا خلوَّ مدينتنا من هذه الدويبات المضرَّة الى صلوات عبد القادر الجيليّ المدفون في زورائنا

ومما يجب ملاحظتهُ ايضًا انَّ لأغلب حيَّات هذه البلاد اسماء معروفة عند الافرنج ولذا فذكر الاسم الشائع بينهم يكفينا مؤونة البحث والوصف وسرد التفاصيل الطويلة بهذا الخصوص . وعليه فاحيانًا نجتزئ بذكر الاسم العلميّ والاشارة الى مدلوله كلَّ مرة توفّقنا الى العثور عليه استغناء عن تلك الشروح المملَّة . والّا فاننا نصف وصفًا كافيًا ما يدور عليه الكلام . ونزيد بهذا الوصف وصف من يذكر الاشياء سماعًا لا عيانًا ويفرغ كنانة وسعه لكي يفهم الغير ما فهم هو من الواصف الاول ممَّن ليس لهُ خبرة في علم الحيَّات او في علم الحيوان

لما اشهر الحيات السامّة في هذه الارجاء فهي : ١ً الأفعى وبالفرنسية : (vipère commune) وبلسان العلم : (vipera berus) وموطنها الصحراء الشامية والبراريّ . اما مميزاتها فهي : لها رأس مكسوّ بحراشف محبَّبة وعيون حادَّة البصر وأنف (خطم) قصير وعقاقيف دقيقة ومحدَّدة ومحفورة حفْر الانبوب . وطولها ٦٥ سنتيمترًا تقريبًا . وجسمها اسطوانيّ الشكل قطرهُ يختلف بين السنتمترين والثلاثة وربَّما بلغ الاربعة اما لونها فاسمر واصدأ وربَّما كان أغبر ارمَد على ظهرها طريقة سوداء وعلى جانبيها رُقَطٌ . واما ما تحت جسدها فلونهُ ارمَد برُمدة السُبُورة (ardoise) وبعض افرادها تكاد تكون سوداء

٢ً وهذا الصنف الاخير يُطلق عليهِ اسم الاسود او السالخ ويوافقهُ في الفرنسية (la vipère noire) او (anglaise) وباللاتينية (coluber prester) وفصولهُ لا يجهلها اهل هذا العلم . وموطنهُ ما تقادم عهدهُ من الابنية في مدن وقرى الجزيرة لا العراق ولا سيما في شمالي الجزيرة

٣ً الأرقم واسم اتاهُ الرقشاء او الرقطاء وتُعرف برقمها او رقشها واسمها بالافرنسية (vipère rouge) وبلغة العلماء (vipera pelias) وعلى قمة رأسها ثلاث طبقات اكبر من الحراشف المحيطة بها بقليل وموطنها شمالي الجزيرة في نواحي الموصل وديار بكر وماردين . وتُرى بعض الاحيان في جوار البصرة والزُبير وحوالي بغداد

٤ً الصلّ وبلغة الفرنسيس (aspic de Lacépède *ou* vipère ocellée) وبلسان اهل العلم (vipera ocellata) وهي شهيرة في هذه البلاد وتوجد في الصحراء الشامية الّا ان وجودها في الجزيرة نادر

٥ً الطُفَيَة وبالفرنسويّة (aspic de Linné) وباللغة العلمية (coluber aspis) والعرب يخافونها خوفاً لا مزيد عليهِ . وهذه الافعى سمراء او صَدْعاء وتتميز عن سائر الافاعي بطريقتين سوداوين ممدودتين على ظهرها تُعرف كل طريقة منها باسم الطُفَيَة ومن ذلك لسمها . وهي ترى في البساتين والغيطان المجاورة للفُراتين . وفي لسان العرب: « ذو الطُفْيَتين : حية لها خطان لسودان يُشبّهان بالخوصتين وقد امر النبي صلعم : اقتلوا الجانّ ذا الطُفيَتين والأبتر . قال الاصمعي : اراهُ شبّهَ الخطّين اللذين على ظهرهِ بخوصتين من خوص المقل وهما الطفيتان . وربما قيل لهذه الحية طُفية على معنى ذات طُفيَة . قال الشاعر :

وهم يُذكّرونها من بعد مزّتها كما تَذلُ الطُفى من رُقيةِ الراقي

اي ذات الطُفى . وقد يُسمّى الشيء باسم ما يُجاورهُ . وحكى ابن بري ان ابا عُبيدة قال: خطان لسودان وان ابن حمزة قال : اصفران . اه ». وقلت والحق ما قالهُ ابو عبيدة

٦ً النسّاس ويقال لهُ ايضاً النكّاز وهو ضرب من الافعى قصير الذنب نكزتُهُ

قتّالة . ويُعرَف بلونهِ الضارب الى الشُقرة وربما كان احمر ولا يُرى الّا في المواضع الرملية من الجزيرة

٧ العِربَدّ او الاَرْبدُ وبالفرنسية (elaps corail) وباللاتينية elaps coral- (linus : وبها حلَقٌ بيض وسود وحمر وتوجد في جميع انحاء الجزيرة وتتوغّل بسهولة في مساكن القوم واهل المدُن يعرفونها احسن المعرفة والعوامّ يسمونها العَربيد وفي كلامهم اشارات عديدة الى هذه الحيّة

٨ الحارِيَة وبالفرنسية (huriah) وهي مأخوذة من لغتنا ومواطنها ضواحي المدن من الجزيرة وانقاضها المهجورة . وفي لسان العرب : « الحارِيَة : الافعى التي قد كبرت ونقص جسمها من الكبر ولم يبقَ الّا رأسها ونَفَسها وسمُّها . والذكر حارٍ . قال

او حارياً منَ الفُطيراتِ الاوَلْ أبترَ قيدَ الشبرِ طولاً او أقلّ

وانشد شمر :

انَتْ على الجوزاء في الصُبحِ الفَضيح حُوَيريًا مثل قضيب المِندَحْ ».

والجارية بالجيم من تصحيح محيط المحيط وتبعهُ صاحب اقرب الموارد . ولم ترد في كُتب اللغة فضلًا عن كتب العلم والادب . وهو تصحيف

٩ العاضهُ او العاضِهةُ وهي الافعى القصيرة الذنَب المعروفة عند عوام الافرنج (vipère minute) وبلسان اصحاب الفنّ : (vipera brachyura) وهي تكثر في الصحاري واكثر ظهورها في حمارّة القَيْظ ولا تُرى في غير تلك المواطن

١٠ الأَبتر اسم عام يُطلق على جميع الافاعي ذوات الذنب القصير ويقابلهُ بلسان العلم (elaps) وهذه الافعى في مُنتهى الخُبث وتُرى في ارجاء الجزيرة الغربية . ظَهرُها أغبر ضارب الى الزُرقة واكثر مواطنها دُور البساتين واهل البادية يخافونها اعظم الخوف وربما اجهضت نساؤهم لمجرّد رؤيتهنّ اياها ومن مساكنها ايضاً الصحراء الشاميّة

١١ ابن قِترَة ضرب من الابتر طولهُ ٢٥ سنتيمترًا لا اكثر الّا انّ نكزتهُ قتّالة وتعرف بخفّتها عند هجومها على فريستها ولونها يضرب الى الغُبرة الّا ان فيها رُقَطاً صغيرة وموطنها الصحراء الشامية والعربية

وفي التاج : « ابن قِترَة بالكسر : حية خبيثة الى الصِغَر ما هو . لا ينجو سميُها .

مشتق من قِتْرة السهم . وقيل : هو بكر الافعى . وهو نحو الشبر يتزو ثم يقع . وقال شمر : ابن قِتْرَة حية صغيرة تنطوي ثم تتزو في الرأس . والجمع بنات قِتْرَة . وقال ابن شُميل : هو أغبَرُ اللون دقيق ارقط ينطوي ثم ينتزُ ذراعاً او نحوها وهو لا يُجرَى يُقال : هذا ابنُ قِتْرَة . وانشد :

لهُ مَنزلٌ أنفُ ابنِ قِتْرَةَ يَفتري بهِ السمَّ لم يَطعَمْ مُقاخاً ولا بَرْدا

وقِتْرة معرفة لا ينصرف . وصرَّح الزمخشري انها سُميت بذلك كأنَّ لها قِتْرَة ترمي بها . قال :

أحدو لمولاتي وتلقى كَرَّهْ وان ابتْ فعضّها ابن قِتْرَهْ ا ه.

١٢ القُصَيرَى : ضرب من الابتر اذا نكزَ قتلَ سَميمهُ . وموطن هذه الافعى الصحراء الشامية والعربية . واغلب هجومه يكون على الدواب ولاسيما الجمال . وفي التاج : « القَصَرى والقُصْرى : كجَمَزَى وبُشرى . والقُصَيرى مصغراً مقصوراً : ضرب من الافاعي صغير يقتل مكانهُ . يقال : قُصرى قبالٍ وقُصَيرى قبالٍ اه ». قلتُ : وسُميت بالقصرى لقصرها . واضافوها الى قِبالٍ لانها لا تخاف مقابلة احدٍ من الناس والحيوانات

قتلى الحيّات

ليس قتلى الحيات كثيراً كما يتصوره القارئ فعلى مساحة بأهلها اكثر من الفي الف من السكان لا يموت من اللدغى الّا ٢٠ او ٣٠ في السنة لا غير . اما الاعراب فيتخذون احسن الوسائط واوكدها اذا ارادوا ان يُداوَوا السَّميم وذلك انهم يكوون بحديدةٍ محاذٍ مكان النكز بعد ان يكونوا قد عصبوا فوق الجرح وتحتهُ بحيث انهم يحصرون مكان اللدغ منعاً لسريان السمّ في الدم . واذا لم يُرَ عظيم فرقٍ في الكيّ الاول يكوونهُ مرَّة ثانية . ولهم وسيلة ثانية وهي انهم يمتصُّون بمجمة اللدغ المذكور بعد ان يحصروهُ على الوجه الذي تقدَّم شرحهُ

إحصاء سنوي لحوادث اللدغ في الانسان والحيوان

لا يحصى عندنا مثل هذه الحوادث لان اغلبها تقع في البوادي او الصحاري ولا كاتب هناك ولا قارئ . والعدد الذي ذكرناه فُوَيق هذا هو عدد تقريبي لا حقيقي . واما الحوادث التي لا تنتهي بالموت فهي في الانسان تناهز المائتين . واما لدغى

الحيوانات الاهلية التي تفضي الى الموت فتبلغ من ١٥٠ الى ١٨٠ في السنة . واماً التي لا تنتهي بالموت فتبلغ من ٨٠٠ الى ٩٠٠ في السنة

الدويبّات السامّة غير الحيّات

﴿ العقرب ﴾ ١ الجرّار ويقال له ايضاً عقرب مَندَلي . وهو نفس العقرب الذي كان يسميه الاقدمون عقرب « عسكر مُكرَم » او « عقرب جُندَي سابور » او « عقرب شهرزور » . اماً مَندَلي فهو اسم حديث للمدينة التي كان يعرفها الاقدمون باسم البَندَنيجين بلفظ التثنية والاسم الحديث تصحيف الاسم الاول مع قصره

يبلغ طول هذا العقرب من خمسة سنتيمترات الى الثانية . ويمتاز عن سائر العقارب لاول نظرة فان لونهُ اصفر فاقع يجرّ ذنبهُ جرًّا ولا يستطيع ان يلويه ومنهُ اشتقاق اسمهِ . ولسعتهُ قتّالة في اغلب الاحايين . ومأواهُ الكُنُف ومخازن الطعام والسراديب المنخفضة والمواطن النديّة . واذا جاء الصيف خرج يطلب قوتهُ في نحو الساعة الثالثة بعد غروب الشمس . ومن مواطنهِ البراري ومنازل القوافل في الصحاري فكثيرًا ما اتفق لي اني رأيتهُ تحت فراشي عند الصباح

اماً عدد حوادث الموت والوفيات في مَندَلي وشهرزور ونصيبين وحوالي هذه المدُن فهي من ٣٠ الى اربعين في السنة واماً الحوادث التي لا تنتهي بالموت فتبلغ من الستّين الى السبعين في الناس سنويًا . واما في الحيوانات الاهلية فحوادث الموت فيها تبلغ من ٤٠٠ الى ٥٠٠ واما التي لا يعقبها الموت فتبلغ من ٥٢٠ الى ٥٣٠ في السنة

٢ عقرب البيوت (scorpion domestique) . وهو عقرب كبير يبلغ طولهُ احياناً ١٣ سنتيمترًا الى ١٥ سنتيمترًا ولسعتهُ ليست بميتة في الغالب لكنّها مؤلمة جدًّا وفي بعض المرّات تُميت اذا كان اللسع ضعيفاً او طاعناً في السنّ وهو يُرى في كل دارٍ من مساكن الناس . ولاسيما في الدور القديمة البناء . وفي سنة ١٩٠٠ قتلنا في دير رسالة بغداد اكثر من ١٢٠ عقربًا وذلك في شهر حزيران وتموز وآب واوائل أيلول وهو امر غريب لان الدير حديث البناء . — اما لونهُ فاخضر زيتوني يضرب الى السواد

وحوادث اللسع في السنة تبلغ ٥٠٠ الى ٦٠٠ تقريباً في انحاء العراق والجزيرة .

واما حوادث الموت فلا تتعدّى الخمسة او الستة في السنة وذلك في الناس . واما حوادث الموت واللسع في الحيوانات الداجنة فتبلغ الضعف في الحالتين

٣ً العقرب الاسوَد (scorpion noire) لونهُ ارمد الى السواد وطولهُ ٨ سنتيمترات الى عشرة . اما لسعتهُ فهي وان كانت غير ميتة الّا انها تُعقب حوادث خطرة . ومأواهُ المواطن الرّطبة المظلمة ولا يظهر الّا في الصيف ويكثر فيهِ . — ويبلغ عدد الملسوعين من الناس ٣٠٠ الى ٣٥٠ في السنة في العراق والجزيرة . ولم نسمع ابدًا ان احدًا مات من لسعتهِ . اما الغنم فيموت منها في السنة ٥٠٠ الى ٦٠٠ من لسعتهِ اما الدواب الكبيرة فلا تموت من لسعتهِ وان كانت تؤذيها

٤ً عقرب البساتين او عقرب النخل هو عقرب اخضر طولهُ ٤ سنتيمترات اعتياديًّا وربما بلغ الخمسة والستة . ومأواهُ ما تقادم عهدهُ من جذوع الاشجار او كرانيف النخل (١ . اما لسعتهُ فهي وان لم تكن ميتة الّا انها تورث آلامًا مبرّحة واكثر وجودهِ في البصرة وبغداد لكثرة وجود النخل فيهما . ويبلغ عدد الناس الذين يلسعهم هذا النوع من العقرب ثمانين الى ١٠٠ في السنة . امّا الحيوان فلا ينالهُ شيء من اذيّة هذه الدويبة

﴿ الزنبور ﴾ اصناف هذا الطوَير كثيرة في العراق والجزيرة ويطلق على جميعها اسم الزنبور . ولا يمكننا الكلام الّا على البعض منها الداخل باب بحثنا . فمن ذلك :

١ً الزنبور الاسود وبالفرنسية (guêpe noire) ولسان العلماء (vespa vulgaris) وهو اسود وعلى مقدَّم رأسهِ وعلى صدرهِ (corselet) رقطٌ صفراء . — طولهُ ٢٠ مليمترًا ويبني كورَهُ (son nid) بسقوف بيوت البساتين ويتخذ مادَّتهُ من شيء يُشبه الكاغد لونهُ ابيض وَسِخ . ولا وجود لهُ الّا في ضواحي المدُن . والذكر منهُ يلسع وألم اللسعة يدوم ساعتين او ثلاث ساعات فقط

٢ً الزنبور الاصفر (guêpe jaune) هو زنبور كلهُ اصفر وطولهُ ٢٣ مليمترًا ويبني كورَهُ على مَراديّ السقف التي تدخل في ابنية بغداد وتواحيها . للذكر حُمةٌ ولسعتهُ مؤلمة فانها تبقي ورمًا يدوم يومين . وهذا النوع من الزنبور يكثر ايضًا في ضواحي المدُن . ومنهُ شيء قليل في المدُن

(١ الكرانيف جمع كرناف وهو اصول السعف التي تبقى بعد قطعهِ في جذع النخلة

٣ الزنبور الاحمر وبالفرنسية (guêpe rouge) . ويحسن بنا ان نسميهُ بهذه اللغة (guêpe - frelon) وباللاتينية (vespa crabro) وطولهُ يختلف بين المليمترين والاربعة ملمترات ولونهُ احمر رُمّاني قانئ ويبني كورَهُ في الحيطان وابنية الطين والجصّ وقد تُشوهد منهُ ما يبني كورَهُ في السقوف او في الاثاث المتخذ من الخشب والزنابير الحمر تغادر اكوارها نحو غاية الربيع لكنها لا تخرج خروجاً باتّاً بالوف والوف الالوف الّا في الصيف عند نضج التمر وبعبارة أُخرى في اوائل الخريف

وللذكر من هذا النوع كما لسائر انواع الزنابير حُمَةٌ يدافع بها عن نفسهِ واذا لسع الانسان احدث فيهِ آلاماً مُحرقة يعقبها ورم شديد يدوم من اربعة ايام الى ثمانية . ولسعتهُ لا تُميت اللهمّ الّا اذا كان الشخص ضعيفاً نحيفاً او مريضاً او تَهِماً او اذا كان الزنبور المذكور قد وقف على جيفةٍ . وهذا الزنبور لا يلسع الّا اذا هيَّجهُ الانسان الى الغضب وذلك بان يضربهُ او يطردهُ او نحو ذلك وحينئذٍ اذا لسع وكان قد وقف على جثة ميت من الدوابّ يُحدث في اللسوع الجمرة او النار الفارسية او الآكلة

ومنذ عشر سنوات لم ألاحظ في بغداد الّا وفاتين من هذا النوع الاخير . اما الحيوانات الداجنة فلا يتعرّض لها الزنابير الّا في النادر . واندر من ذلك أن تموت من اللسعة

﴿ الشِّرْمان ﴾ وبالفرنسية (bourdon) وبلسان العلم (bombus) نوع من الزنبور لسود لمّاع خشن مُدمّلك على جسمهِ كلهِ زَغَبٌ ناعم . ويتخذ مسكنهُ في ما خشن وضخم من مَرادي البناء فيحفر فيها ثقباً مستديراً ويأوي الى جوفهِ . وكذلك يفعل في جذوع الاشجار ولاسيما اليابسة منها . اما لسعتهُ فتكون مميتة في اغلب الاحيان لكن لمّا كان الجميع يخافونهُ خوفاً لا يوصف ويجتنبون قُرباه فلا يموت من لسعتهِ الّا اثنان او ثلاثة من المغفّلين وذلك في العراق والجزيرة . اما الحيوانات فتهربهُ كل الهرب ولا تعرّض نفسها لان يلسعها

﴿ الزُّرَيْجيّ او الزُّرَيْقي ﴾ هي ذبابةٌ زرقاء تحدث اضراراً كثيرة في هذه الاصقاع ولاسيما في الجهة الجنوبية منها . ويعرفها الافرنج باسم mouche dorée *ou* des cadavres) وبلسان العلم (musca Cæsar) بطنها اخضر ذهبيّ وراسها وصدرها ازرقان تتموّج زُرقتهما تموّجاً ترى فيهِ الوان قوس قزح . وهذه الذبابة تسبّب في

الحيوانات الداجنة الجمرة التي تفتك فتكاً ذريعاً في هذه البلاد الحارَّة . ومما يزيد هول فتكها انها تقتل عشرات من الناس كلَّ سنة وذلك في البلاد التي يُحمل اليها صوف بغداد كانكلترة واميركة مثلاً فان جراثيم هذه الذبابة تبقى في الصوف الغير المغسول فاذا اخذ العملة يشتغلون به بدون غسل تولَّدت فيهم الجمرة واذا اصابت الواحد اودى به الموت لا محالة

الَّا ان هذه الذبابة لا تتعرَّض وهي حيَّة الَّا للحيوانات ولاسيما الخيل وبعض الغنم . وهي لا تتعرَّض للانسان الَّا نادرًا وذلك لجميع من ينام في الهواء الطلق في النهار وهذا يدلُّك على ان المصاب لا يكون في مثل هذه الحالة الَّا بين الفلاحين واهالي القُرى لان هذه الذبابة لا تدخل المدن الَّا فيما ندر . وتقتل هذه الذبابة خمسة او ستة من الناس في السنة ومن الحيوانات من ١٢٠ الى ١٥٠

هذا ما اردنا تدوينهُ في هذا الموضوع وان كان لاحدٍ مزيد علم فيهِ فلا يضنَّ بهِ علينا والله يثيب المحسنين

معادن لبنان القديمة

نظر للاب هنري لامنس اليسوعي مدرس الجغرافية الشرقيَّة في المكتب الشرقي

لقد انجزنا الكلام عن غنى لبنان المعدني والحقُّ اولى ان يُقال ليس لبنان من هذا الوجه ذا ثروة طائلة وغنىً وافر . فلوازم البناء متوفرة فيهِ إلَّا انها ليست من اعلى درجة في الجودة . ومعادن الحديد كثيرة الانتشار في الجبل الَّا انها قليلة الفائدة لعدم وجود الوقود لتشغيل المسابك والمعامل . واخر الامر ففي لبنان شيء من الفحم الحشبي المتحجر . فاذا شئنا ان نعرف ما لهذا الوقود من الشأن والاعتبار في نفس مركزهِ يكفي ان نردّد في ذهننا ان اصحاب المعامل الحريريَّة المجاورة لمستودعاتهِ عدلت عنهُ تباعاً الى الفحم الاجنبي . فالحالة هذه ليس لاهل لبنان ان يبنوا الآمال على استحضار المعادن ولا يُمنُّوا النفس بتحسين مستقبل البلاد بسببها

لكن هنا بحثاً آخر تُرى هل كانت هذه الحال حال لبنان القديمة ؟ ألم يتفق للبنان ما اتَّفق لاراضٍ كثيرة كانت مخصبة غنيَّة فقرغت على توالي الاجيال واصبحت

عتيمة؟ أولم تنزع من اعماق لبنان كنوزهُ المدنيَّة القديمة؟ فلهذا السؤال محل ومجال لانَّ ارباب البحث والاقتصاديين منذ الان قد وجدوا بعد الحساب ان اغنى مناجم الفحم الحجري في اوروبة لا بدَّ ان تنفد يوماً ولا يمرُّ على بعضها جيلان او ثلاثة حتى تكون قد نفدت فلِمَ لا يصح ذلك في لبنان وقد ظهرت فيهِ آثار العمران وحركة الاشغال من نحو ٤٠٠٠ سنة والادلَّة على ذلك صحيحة راهنة فهذه المدَّة الطويلة تكفي كل الكفاءة لتعليل ما حدث في حال معادنها من التغيير والانقلاب

ومما يزيد في ارجحيَّة هذا الراي كون لبنان قسماً من فينيقية والحال ان بلاد فينيقية كانت من اقدم الازمان كنقطة للاشغال المعدنيَّة ومحور للاعمال الصناعيَّة (١ فقد وجدوا الوفاً من آثار هذه الصناعة القديمة وضروبها المتنوعة كآنية فضة ونحاس وقلز وحلي من كل الاصناف واشكال الاسلحة وادوات زجاجيَّة وغيرها . فهذه التُحف مَلأت المتاحف التي غصَّت بها وضاقت عن ان تسعها ومع ذلك لم تُصرَف العناية الى جمعها ووضعها في المتاحف إلَّا من نحو نصف قرن وكم من تحف غيرها بادت او لم تزل مدفونةً في بطون المدن الفينيقية وهي تتوقَّع يوماً من الدهر لتظهر للعيان

على انَّ هذه الحال من نموّ الصنائع وانتشار الاشغال المعدنية لم تكن خاصَّة بعهد الفينيقيين بل بقيت بعدهم اجيالاً عديدة واستمرَّت الى اواخر الاعصر المتوسطة . ولم تبطل هذه الاشغال في المدن الممتدَّة على طول الشواطئ البحريَّة من عكا الى اللاذقية فكانت العمَّال من نحو خمسة او ستة اجيال منكبَّة على العمل وكانت تصنع مصنوعات عظيمة وتُصدر صادرات وافرة ففي اواسط الجيل الرابع للميلاد يذكر يونيور (Junior) الفيلسوف اللاتيني « مدينتي طرابلس وجبيل الصناعيَّتين ومدن صيدا وصرفند وعكا الزاهرات وخصَّ من بين هذه المدن اللاذقية وجبيل وصور وبيروت بانها ترسل انسجتها الى جميع الارض وتنشر صرفند فوق ذلك ارجوانها » (٢

---

١) راجع كتاب بيرار Bérard: *Les Phéniciens et l'Odyssée*, I. 306-307; 367; 376; 409, 414, etc. Benzinger : *Hebräische Archeologie*, 253

٢) وهذا نصهُ بحرفهِ : Tripolis et Byblus, ipsæ civitates industriosæ sunt : iterum optimæ civitates Sidon, Sarepta, Ptolemaïs ... Laodicia, Byblus, Tyrus, Beritus omni mundo linteamen emittunt, Sarepta vero purpuram præstat.

ولنا في الجيل العاشر شهادة المقدسي الجغرافي العربي وبما انهُ سوريّ النشأة فتكون لشهادتهِ قوة كبرى فانهُ يعدد بين صادرات سورية المحمولة الى الخارج عن مرافئ البحر من قيصريَّة الى السويديَّة انسجة الحرير والصابون والمرايا والزجاج والابر والسُّرُج وآنية النحاس والحرُص او الأشنان والحديد والكبريت والملح والرخام (١. وفي الاعصر التابعة يصف الادريسي والدمشقي وابن بطوطة حركة الاشغال الصناعيَّة في مدن سوريَّة والسياح الغربيُّون الذين ساحوا في سوريَّة في ذلك العصر يؤدون الشهادة نفسها (٢

*

والحال هل يخطر على بال ان هذه الصناعة وفيها للمعادن حظٌّ صالح تتخذ لوازمها الاوليَّة وموادّها الضروريَّة من الخارج لا غير . اما نحن فلا نخال ذلك لان في مثل هذه الحال لا تأتي المصنوعات بارباح طائلة الى حدّ انها تُحمَل الى جميع الجهات. فالاعمال المعدنيَّة في فرنسة مع ما هي عليهِ من جودة الطرق وكمال الاساليب لا تستطيع مجاراة اشغال البلاد المجاورة لها وعلَّة ذلك انها مضطرة الى ان تستجلب من الخارج قسماً من معادنها . فنستنتج اذن ان الصناعة الفينيقية وهي اقدم الصنائع كانت تتخذ مواد اشغالها من محلها وجبال بلادها وبغير عبارة نقول انهُ يلزم التسليم بان مستودعات معادن لبنان كانت قديماً اوفر عدداً واغزر مادَّةً واكثر نوعاً مما هي اليوم . وليت شعري هل يمكن اثبات هذه النتيجة بشواهد تاريخيَّة

اما ايضاح ذلك عن الحديد فايسر شيء عندنا بل لا حاجة الى ذلك وقد اثبتنا وجودهُ في ايامنا فلهذا لا نفيض في ايراد الشهادات بل نقتصر على بعضها. على انَّ بين هذه الشهادات شهادةً هي اعظمها اهميَّة واشدّها اعتباراً تدلّ على ما كان لتجارة الحديد من الشيوع والشان في قديم الزمن . ففي الجيل السابع قبل الميلاد كانت العبارة « يا ان برت » تستعمل في اللغة المصريَّة للدلالة على الحديد (٣ ومعنى هذه الكلمة حرفيًّا « بضاعة بيروت » فيُستنتج اذن من استعمال هذه الكلمة ان شغل الحديد كان شائعاً في بيروت وانهُ كان بجوار هذه المدينة معادن يُستخرَج منها الحديد بكثرة

١) راجع في تأليفنا « احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » وصف سورية (ص ١٥١–١٨١)

٢) راجع كتاب راي Rey: *Colonies franques*, 211 . واما عن بيروت فراجع هيد (Heyd) تاريخ تجارة المشرق . الترجمة الفرنساوية ص ٤٥٦ و٤٥٩ و٤٠٣ و٤٨٨ الخ

٣) راجع المجلة الاسيوية (Journal asiatique, 1904. I, 155 - 56)

وكما انهُ من لفظــة « بضائع باريس » سوف يستدلّ المؤرخون في المستقبل أن بضائع الزينة والتبرُّج كانت تُصنع في باريس . فهكذا قل عن الكلمة المصريَّة التي اوردناها فانها تشير الى أن وادي النيل وذلك لا اقلّ من ٨٠٠ سنة قبل المسيح أَلِف الحديد اللبناني المحمول اليهِ من مرفأ بيروت الى حدّ انَّ اهلهُ لم يميّزوا بين اللفظين اعني «الحديد» و« صناعة بيروت» . وكمثل ذلك جرى في اللغة العربية الفصحى للهندي والمشرقي فانهما اصبحا مرادفين للسيف وقد كانا في الاصل يدلان على السيوف المصنوعة في الهند وفي « مشارف » البلقاء شرقيّ بحيرة لوط . وقد كان زمام تجارة الادوات البيتيَّة وآنية الحديد والقلز والنحاس في الجيل التاسع قبل المسيح بايدي الفينيقيين في سوق مصر عينهِ (١ والمقدسي (٢ يأتي على ذكر معادن الحديد في بيروت الموجودة في عصرهِ . وبعدهُ بجيلين يقول الشريف الادريسي اثناء كلامهُ عن بيروت: « وبقربة منها جبل فيهِ معدن حديد طيّب جيد القطع يستخرج منهُ الكثير ويُحمل الى بلاد الشام (٣ » . وقال ابن بطوطة (٤ : « ان الحديد يُحمل من بيروت الى مصر » فهذه الشهادات معتبرة فانها تدلُّنا على نموّ صناعة الحديد في لبنان حتى اواخر الجيل الرابع عشر . واما ما قدَّمنا من تفاصيل نقل الحديد وحملهِ الى الخارج فيدل ليس فقط على رواجهِ في سوق مصر بل يرجّح ايضاً على ان لسلحة دمشق المشهورة كانت تُصنع من معادن لبنان كما اوردنا آنفاً

ولقد يُشتفُّ من وراء هذه الشهادات ما التحق باحراج لبنان من الضرر الجسيم بسبب تلك الصناعة التي نستطيع ان نتتبع حركتها مدة الفي سنة . فواقد السابك كانت بمثابة لجة التهمت غابات الارز العظيمة

*

على انهُ ليس بعد الحديد معدن شاع ذكرهُ بين صادرات الصناعة الفينيقية القديمة نظير النحاس . والعجب في ذلك ان هذا المعدن لم يبقَ لهُ اليوم أقلُّ اثر في لبنان كما سبق لنا ذكرهُ ففي هذا سرٌّ غامض على المؤرخين ويستلفت انظار الجيولوجيين الذين يحوّلون ابصارهم عن كل شهادة لا يجدونها مسطرةً في بطون الارض

فلنباشر بايراد شهادة التوراة اولًا : فانهُ مذكور في سفر الملوك الثاني (٨ : ٥ — ٨)

---

١) راجع كتاب مولر (W. M. Müller: *Asien und Europa*, 306)

٢) في كتابهِ السابق ذكره (ص ١٧٤) ٣) طبعة جيلدميستر ٤) I. 133,

ن داوود اخذ من ملك صوبة نحاساً كثيراً جداً . فاين محل صوبة المذكورة ؟ فمن المرجّح انها كانت قائمة في سهل البقاع وذهب بعض علماء عصرنا على انها نفس المدينة المدعوة « مات نحاسي » في كتابات تل العمارنة (١٥٠٠ قبل المسيح) ثم سماها اليونان (١ فيما بعد كاسيس . فما اغرب هذا الاتفاق فلفظة كاسيس معناها في اليوناني نحاس وفي مات نحاسي كلٌّ يرى كلمة نحاس . وعليهِ اذا صحّ ان صوبة وكاسيس ومات نحاسي ما هي الّا ثلثة اسماء لمسمّى واحد فيكون المقصود بها المحل المشهور بمعادنهِ القائم في جوار لبنان

غير ان الآراء متضاربة في تعيين موضع كاسيس فقال بعضهم انها معلقة — زحلة ورجّح غيرهم ونحن من رأيهم (٢ انها عين جار في اسفل الجبل الشرقي المقابل للبنان (٣ — فعلى كل حال ليست المسافة بين الموقعين بعيدة انما على حلّ هذا المشكل الجغرافي يتوقّف تخصيص معادن النحاس القديمة بلبنان او بالجبل الشرقي الذي يقابلهُ

ثمّ اننا نرى الكتابات المصريّة والكتابات الاشوريّة قبل التوراة تشير الى وجود كميّات عظيمة من النحاس في لبنان او في ما يجاورهُ ومنها ٨٤,٠٠٠ كيلو من النحاس اخذها رمّانيرار الثالث ملك الاشوريين من ملك دمشق فهذه الكمية الوافرة الموجودة في محلّ واحد تدلّ على انّها من صادرات المحل وليست من الخارج واننا نجد فضلاً عن ذلك في كتابة تحوتمس الثالث ذكر « نحاس اسيوي » أتى بهِ فرعون مصر من بلاد راتانو بعز وانتصار (٤ وراتانو كما هو الشائع في كتابتها الان هي الناحية التي يسقيها الليطاني وقد سبق لنا تفصيل ذلك (٥

على انّ هذا النهر ينبغي ان يُعتبر تابعاً للبنان لانهُ يجري على شواطئهِ او بر في اراضيهِ — اما العلّامة يَنسِن (Jensen) فانهُ لا يقف عند هذا الحدّ بل يزعم ان

---

١) راجع كتاب Buhl: *Geogr. des alt. Palaestina*, p. 115

٢) راجع تمريح الابصار الجزء الثاني (ص ٤٠)

٣) Pauly- Wissowa. Encyclop., *III* 2091

٤) راجع كتاب Müller: *Asien und Europa*. 126, 127

٥) راجع تمريح الابصار (ج ٢ ص ٢٢, ٢٣)

راتانو او لاتانو من اسامي لبنان نفسه او لا اقلّ من ان تدل على ناحية الليطاني (١

وفضلًا عن ذلك فالكتابات المصريّة تسمّي فينيقية عادةً باسم « ذاهي » وتجعل بين صادرات هذه البلاد ليس فقط الزيت والعسل والخمر ممّا لا يتذهل له انسان بل ايضاً النحاس والرصاص واصناف الحجارة المتنوعة الخ (٢ . وفي غير موضع تذكر آنية الحديد والنحاس كصناعة مختصة بفينيقية (٣ ومن المعلوم انها كانت تُملأ منها اسواق اشور وبابل (٤ واسواق بلاد اليونان في اوروبة واسيّة افلا يسوغ لنا بعد هذا كلهِ ان نستنتج وجود معادن النحاس في جبال فينيقية ؟ رويدك ايها القاري فلا نعجّلن باستنتاج النتائج لئلا تقع منّا عن غير تروٍّ كافٍ . ومن المحتمل انّ الفينيقيين كانوا يستخرجون النحاس من املاكهم في جزيرة قبرس او من « الاسيا » (٥ الشهيرة بمعادنها النحاسية ولعلّنا نجد موقعها على مصبّ نهر العاصي ولعلّ هذا الاسم العربي مأخوذ عن اللفظة الاشوريّة « الاسيا » كما ترى وزعم غيرهم انها قبرس استنادًا على وجود معادن النحاس فيها وعلى رأيهم أنّ منها كان يؤخذ النحاس لتشغيل معامل فينيقية . فليست المسألة اذن جليّةً كما يُظن . اما نحن فنرجّح رأيًا متوسطاً

فاننا نسلم مع كثيرٍ من العلماء الذين اوردنا شهاداتهم وغيرهم نظير كيرت (٦ وَيْسِنْ وغيرهما (٧ بوجود معادن نحاس في لبنان لكنها قليلة لذلك اضطرّ الفينيقيون ان يستجلبوا من الخارج ما كان ينقصهم في لبنان . ولهذا السبب نفسهِ نفدت هذه المعادن وفرغت بجملتها حتى لم يبقَ لها اثر على حدّ ما نراهُ في جزيرة إلبا في البحر المتوسط فمعادنها الحديديّة مع غناها الغريب الذي لا يكاد يُصدَّق تُستخرج

---

١) Zeitsch. f. Assyr. 1895, 345-346

٢) راجع مولّر (ص ١٨٣)

٣) مولّر (ص ٢٠٦)

٤) Zeitsch. für Assyriologie, 1887, p. 36, 37 ومنها هذه العبارة الواردة مرارًا في شعر هوميروس « صيدا الغنيّة بالنحاس »

٥) وكانت تسمى ايضاً اصيا Zeitsch. f. Assy. 1895, 262

٦) راجع تاليفهُ H. Kiepert: *Alte Geographie*, 167

٧) Zeitsch. für Assyr., 1895, 363, 365

منذ الفي عام (١ . والحال ان النحاس كان من اعظم صادرات هذه الجزيرة في اقدم الازمان ثمَّ باد ذكرهُ منها فيما بعد

فعليهِ إمَّا ان نعدّ الشهادات المختلفة التي اوردناها اوهاماً مختلَقة واماً ان نسلّم بوجود معادن غير الحديد في لبنان ومنها النحاس فلولا هذه المعادن لما كانت وُجدت صنائع الفينيقيين المدنيَّة ولما كانت انتشرت انتشارها الغريب

فهولندة مع ما هي عليهِ من النشاط والاستعداد الفطري للتجارة والملاحة لا تنال الفوز بشغل المعادن نظير انكلترة وذلك لخلوّها من المعادن لان نجاح الأمَّة يتوقّف على النواميس الطبيعيَّة التي مع كل قوتها تعجز عن مقاومة النفوذ الخارجي . وهذا ممَّا يزيد فضل الجغرافية التاريخيَّة فانها تُطلعنا على بعض هذه النواميس

فاذا اتقنَّا درس لبنان وطبقاتهِ الجيولوجيَّة نجد بلا محالة براهين طبيعيّـة وادلَّة ماديَّة تثبت غنى لبنان الاعظم في قديم الزمان (٢

امَّا الحجارة ولوازم البناء فاننا لا نعلم شيئاً عنهـا الَّا ان غوديا ملك بابل كان يستجلب لابنيتهِ من لبنان قبل المسيح بثلاثة الاف سنة ليس فقط اخشاب الارز بل ايضاً الرخام الابيض وغيرهُ من الحجارة . وما زالت ملوك اشور تحذو حذوهُ الى الجيل الثامن قبل الميلاد . على انهُ لم يُذكر شيء عن صنف الحجارة المنقولة مع الرخام ولا عن طبيعتها إلَّا ان ما يقتضيهِ نقلها الى البلاد البابليَّة من المشقة والنفقة لبعد المسافة يسوغ لنا ان نستنتج انهـا لم تكن من الحجارة العاديَّة بل من اصناف الرخام الجيّد وانواع الحجر الغالي الثمن . فعلى هذا يتَّضح ان لبنان كان من هذا القبيل ايضاً اغنى ممَّا هو اليوم

لكن لا بد من ابداء ملاحظة هنا كما فعلنـا اثناء كلامنا عن النحاس : ان الكتابات الاشوريَّة والبابلية البالغة حد الايجاز والمتصلة باقدم الازمـان ليست بغاية الضبط والتدقيق بنوع انهُ لا يتيسر لنا الحكم والفصل فيما اذا كان الكلام عن لبنان

(١ Elisée Reclus: *Europe Méridionale*, 432,-433

٢) ففي سنة ١٧٣٦ . يؤكد السائح كرانيه الفرنساوي وجود معادن نحاس يشوبها قليل من الفضة بين عجلتون والماقورة . . فهذه التعليمات المبهمة تدل على ان السائح نقل ما سمعهُ ولم يفحص بنفسهِ . . وإلا لكان حدَّد موضع هذه المعادن

الشرقي او الغربي وبعبارة اخرى عن لبنان الحقيقي او عن الجبل الذي يقابلهُ . فبخصوص هذه المباحثــة الثانويَّة فلتراجع التآليف التي اوردنا ذكرها في هذا الصدد . فيستطيع القارئ ان يتم ابحاثهُ الشخصيَّة ويقابل بين التعليمات التاريخيَّة التي جمعناها عن غنى لبنان المعدني في الزمن القديم (١)

مزدكيَّة امرئ القَيْس الشاعر الجاهليّ

نظر للاب لويس شيخو اليسوعيّ

يعرف القرَّاء ما لحضرة العلَّامة الاب انستاس الكرملي من التفنن في المباحث فانهُ لم يكد يدع باباً من العلوم العربيَّة الَّا طرقهُ من ادب وآثار وتاريخ ولغة وهو قد كتب في كل ذلك فصولًا رائقة اثنى عليهــا الادباء المدقّقون والعلماء المستشرقون وان لم يسلّموا لحضرتهِ بما يستنتجهُ احياناً من النتائج العموميَّة المبنيَّة على مقدّمات خاصَّة او على ادلَّة مشبوهة . ودأبنا كما يعلم الكلّ نشر المذاهب العلميَّة تاركين العهدة فيها لاصحابها

وممَّا اثبتنا لحضرتهِ آخرًا في مجلّتنا مقالة ضافية الذيل عنوانها « دين امرئ القيس الشاعر الجاهليّ » عرض فيها رأي من قال بوثنيتهِ او نصرانيتهِ فنقَّد كلا القولين ثم قطع بمزدكيَّة ذلك الشاعر مدَّعياً انَّ اخبارهُ وتاريخ جدّهِ الحارث يؤيدان مزعمــهُ ويزيلان كلّ شك في هذا الصدد

ولمَّا كان هذا الرأي جديداً لم يسبق حضرتهُ اليهِ احد من العلماء يسوغ لنــا ان نعمل فيهِ نظر الانتقاد فنلقي اليهِ بزمام الموافقة ان وجدناهُ صواباً او تنبذهُ ظهريًّا ان رأيناهُ عادلًا عن محجَّة الحقّ وليس لنا في هذا النظر غاية سوى اظهار الحق اليقين فانَّ نصرانيَّة امرئ القيس لا تشرّف كثيراً هذا الدين وهو لم يقــم بفرائضها كما انَّ مزدكيَّتهُ او وثنيتهُ لا يضرَّان بهِ مع ما نعلم من انتشار الدين المسيحيّ بين القبائل

(١) وبينما كانت هذه المقالة ممثلة للطبع وردتنا رسالة من بيروت تفيدنا اكتشاف معادن ذهب وبلاتين في لبنان حديثاً ويقول الكاتب انهُ يأتي قريباً بالبراهين على صدق قولهِ فيا ليت الخبر لا يكون مبتسراً فيغنى لبنان جذه الكنوز وهذا غاية المنا

في الجاهليَّة . وياليت الاشغال تسمح لنا بالخوض في مثل هذه الابحاث المفيدة التي لم يتعرَّض لها سوى القليل من الادباء فنميط عنها الحجاب ونجلو حسنها للعيان

*

وقبل ان نمحص مذهب حضرة الاب انستاس بنار النقد ينبغي لنا ان ننفي عنَّا قولًا نسبهُ الينا الكاتب الاديب لئلَّا يبقى عثرةً في سبيلنا . قال حضرتهُ اننَّا روينا في كتابنا شعراء النصرانيَّة (ص ٦) نصًّا لابي عبيدة قال فيهِ عن الحارث جدّ امرئ القيس انَّهُ « نزل الحيرة وكانت فيها النصرانية وبقي عليها » فعارض هذا النصّ وقال انَّهُ زيادة منَّا وانَّنا نسبنا بهِ النصرانيَّة زورًا للحارث جدّ امرئ القيس

على انَّ في هذا القول غلطَين وهم بهما حضرة الاب انستاس : الاوَّل ظنُّهُ بانَّ العبارة « نزل (اي الحارث) الحيرة وكانت فيها النصرانيَّة وبقي عليها » من كلام ابي عبيدة وبينها وبين آخر قولهِ مسافة فانَّ كلامهُ الوارد في العقد الفريد لابن عبد ربهِ وفي غيرهِ من الكتبة ينتهي عند قولهِ « وبقي حجر آكل المرار كذلك حتى مات » امَّا ما يليهِ فهو من كلامنا ملخَّصًا عما جاء في التآليف الشرقيَّة والغربيَّة بدليل ذكرنا لتاريخ ملك عمرو سنة ٥٢٤ وهو امرٌ لم يروهِ لا ابو عبيدة ولا غيرهُ

والغلط الثاني انَّ حضرة الكاتب اساء فهم قولنا عن الحارث انهُ « نزل الحيرة وكانت فيها النصرانية وبقي عليها » فانَّ هذا القول لا يراد بهِ انَّ الحارث تنصَّر بل انَّ الحارث نزل الحيرة وبقي على ولايتها لمَّا كانت النصرانيَّة شائعةً في هذه المدينة . فليراجع حضرتهُ العبارة بتأنٍّ يدركها بلا عناء فانَّ نزول الحارث في الحيرة وبقاءهُ على حكمها لمَّا رواهُ كل الكتبة بلا استثناء ولو اردنا تنصُّر الحارث لقلنا « انهُ دان بالنصرانيَّة وبقي عليها » . واماَّ شيوع النصرانيَّة في الحيرة فلا يحتاج الى برهان مع وضوحهِ وتسليم حضرتهِ بهِ وان استنتج من قولنا ما لم نقل بهِ وهو انَّ النصرانيَّة كانت « وحدها » في الحيرة

فدعنا الان بعد هذه المقدَّمة نفحص الادلَّة التي استند اليها الاب الفاضل لينسب الى امرئ القيس التمذهب بدين المزدكيَّة . واوَّل حججهِ انَّ سيرة امرئ القيس لم تكن اهلًا بنصرانيّ فانهُ كان يعاقر الخمرة ويأكل لحم الخنزير ويستقسم بالقداح ويكثر من الزواج . وقد اردف حضرتهُ ذلك بحجَّة رآها قاطعةً وهو أنَّ جدَّ امرئ القيس

الحارث بن عمرو بن حجر دخل في مذهب المزدكية كما رواهُ ياقوت في معجم البلدان وابو الفرج في كتاب الاغاني. ولا يُرى انَّ ابنهُ حجر وحفيدهُ امرأ القيس عدلا عن مذهبهِ بل « بالعكس انَّ تتالي الوقائع من اخذ الثار بدم الحارث بن عمرو ما يبيّن ان الابن والحفيد بقيا على ذلك الدين »

هذا مجمل براهين حضرة الاب في اثبات مزدكية امرئ القيس . ومع ما تستحقّ ادلَّتهُ من الالتفات نقرُّ بسذاجة انها ليست بكافية لتصرفنا الى رأيهِ وهاك احتجاجنا على اقوالهِ

لا يشقّ علينا ان نسلّم لحضرة الاب انستاس ان في سلوك امرئ القيس اعمالاً تنافي سيرة المسيحيين الفضلى وانَّ بطر الشباب حملهُ الى امور لا يستحلّها الدين المستقيم ولكن اترى ذلك كافياً للزعم بان هذا الشاعر شايعَ المزدكيين ؟ فان صحَّ الامر وجب القول بان اكثر شعراء الجاهليَّة كطرفة وعنترة والنابغة والاعشى بل بعد الجاهلية كجرير والفرزدق والاخطل كانوا من انصار مزدك اذ لم تخلُ سيرتهم من الانهماك في اللذَّات

ولكن هاتِ بكل سيئة تعزى لامرئ القيس لنرى ما فيها من العلاقة بتعليم مزدك. فان معاقرة الخمرة ليست من خواصّ المزدكيَّة وقد راجعنا كلّ ما كُتب عن ذلك الرجل الاثيم في كتبة العرب وغيرهم فلم نجد في اقاويلهِ ذكراً لبنت الحان فان كان امرؤ القيس مدمناً عليها فما ذلك انقياداً لرأي مزدك بل حبًّا باللهو ليس الَّا

امَّا أكل امرئ القيس للحم الخنزير فلا نظنّ انَّ حضرة الاب انستاس يعدُّهُ اثماً كبيراً وهو يعلم انَّ اكلهُ مُباح لكلّ النصارى. على انَّ في ترجمة امرئ القيس لا شيء يُشعر باكلهِ لحم الخنزير. نعم انَّ مكاتبنا الفاضل قد استشهد دلالة على قولهِ ببيت ذي الرمّة :

ولكنَّ اهل امرئ القيس معشرٌ يحلُّ لهم لحم الخنازيرِ والخمر

بيد ان الكلام في هذا البيت كما افاد حضرة الاب لامنس في ذيل المشرق (ص٨٨٩) لا يدلُّ على شاعرنا بل على قبيلة بني امرؤ القيس من بطون تميم — وان سلّمنا للاب انستاس ان المقصود بالبيت هو امرؤ القيس الشاعر فانَّ اكلهُ للحم الخنزير برهان على خروجهِ من دين مزدك لأن مزدك كما افاد الطبري والشهرستاني وابن الاثير وغيرهم نهى ليس فقط عن اكل لحم الخنزير بل عن اكل اي لحم

كان زعماً منهُ انَّ قتل الحيوان من الكبائر وانَّ الاغتذاء لا يجوز الَّا من النبات . وذلك امرٌ لم يوافقهُ فيهِ امرؤ القيس البتَّة وهو من كبار الصيادين ترى نصف ديوانهِ في وصف خروجهِ الى صيد الاوابد وقنص الوحوش وشيّ لحومهم

امَّا الاستقسام بالقداح الذي زعم حضرة مناظرنا انَّهُ من الادلَّة على مزدكيَّة امرئ القيس فلا ذكر لهُ بين اضاليل مزدك وتبعتهِ . وانَّما فعل ذلك امرؤ القيس اخذاً بعادات الزمان وخرافات الجاهلية ومثل هذه الخرافات شائع حتى اليوم بين كثيرين حتى من النصارى (راجع مقالة يوسف افندي غنيمة عن الخرافات العامية في بغداد في العدد السابق من المشرق) . ويُزاد على هذه الملاحظة انَّ امرأ القيس رمى القداح في وجهِ الصنم لمَّا رأى انَّ القداح لم توافق مرغوبهُ دالًّا بذلك على قلَّة اكتراثهِ لها

بقي افراط امرئ القيس بالزواج وهو امرٌ لا تركيبَ فيهِ ولكن لا يدلُّ مطلقاً على انهُ كان مزدكيًّا . فانَّ مزدك كان يبيح الاشتراك في الحرم ولا نرى امرأ القيس اباح ذلك وانَّما تزوَّج جريًا على عادات العرب باكثر من امرأة ولعلَّهُ فعل بعد موت امرأتهِ الاولى . وكذلك انتسى بالعرب اذ استباح الطلاق مثلهم . وبين فعلهِ هذا ورأي المزدكيَّة بون كبير

*

بيد ان حضرة الاب انستاس وقف على بيِّنةٍ يظنُّها لامعةً قاطعة في هذا الصدد وهي مزدكيَّة جدّ امرئ القيس اي الحارث بن عمرو الكندي فاستنتج منها انَّ ابنهُ حجر بن الحارث وحفيدهُ امرأ القيس بن حجر كانا ايضاً على دين مزدك

وفي هذا الاحتجاج نجد المقدِّمة مشكوكاً فيها والنتيجة غير صحيحة امَّا . كون المقدِّمة غير ثابتة فلنا على ذلك شواهد توازي بقيمتها الشواهد التي اتى بها حضرة الاب . فانَّ كثيرين من مؤرخي العرب ومن اقدمهم واثبتهم ينسبون تولّي الحارث جدّ امرئ القيس على الحيرة ليس لموافقتهِ لمذهب المزدكيين مع قباذ بل لاسباب أخرى . فهذا حمزة الاصفهانيّ ذكر للامر سببين قال (ص ١٠٦ من الطبعة الاوربيَّة) . « وكان لانتقال الحاكم عن لخم الى كندة سببان احدهما اغضاء قباذ بن فيروز عن التدبير واهمالهِ للامور .... فعندها ولَّت بكر ابن وائل عليها الحارث بن عمرو بن حجر ... والسبب الثاني انَّ امرأ القيس البدء كان يغزو قبائل ربيعة فينكي فيهم ...

فبقيت العداوة في نفوس بكر بن وائل الى ان وهى امر قباذ فعندها ارسلت بكر الى الحارث بن عمرو فولّوه »

وهذا الطبري من اثبت المؤرخين واقدمهم قد ذكر (ج ١ ص ٨٨٨—٨٩٠) ولاية الحارث على السواد والحيرة في خبر طويل ليس لهُ ادنى علاقة بمذهب مزدك

وفي كتاب انساب العرب في مكتبة باريس (ص ١٥٧) ما نصُّهُ : « والحارث هذا (بن عمرو بن حجر) هو الذي غزا اهل الحيرة واجلى بني نصر اللخمي على (والصواب عن) الحيرة واغار على بلاد فارس .... »

ولنا شواهد أُخرى في كتبة الروم المعاصرين للحارث التي تشهد على العداوة التي كانت بين الحارث وشاه العجم فانَّ الكاتب نُنوز يذكر ان انستاس قيصر الروم ارسل اباهُ ابراهيم ليعاهد الحارث الكندي جدّ امرئ القيس (١ . وقد روى پروكوب (٢ المؤرخ انَّ هذه المعاهدة انَّما كانت لدفع غارات شاه العجم . فلولا ان القيصر انستاس يعلم بالنفور بين الحارث وقباذ لما عرض عليهِ هذا التحالف

وتجد في كتاب الاغاني الروايات متضاربة متباينة يوردها على اسانيدها (اطلب الاغاني ١١ : ٦٤ وفيهِ رأي كراي الطبري) . وكذا في تاريخ الكامل لابن الاثير (١ : ١٦٤) وفي تاريخ ابن خلدون كما اقرَّ حضرة الاب . ولو اردنا فحص كلّ هذه الآراء والتوفيق بينها لأدى بنا الكلام الى ما يستوفي عددًا بل اعدادًا من المشرق وغاية ما يمكن قولهُ انَّ مزدكيَّة الحارث رأي من الآراء ولعلَّ البعض اخترعوهُ مراعاةً لشرف قباذ الذي فشل بازاء قبائل ربيعة وكندة والله اعلم

ولكن دعنا نسلّم لحضرة الكاتب بصحَّة الرواية وانَّ الحارث بن عمرو تزدك حقيقةً مع قباذ فكيف يستنتج دون برهان صريح بانَّ ابنهُ حجر وخصوصًا حفيدهُ امرأ القيس اتَّبعاهُ في ضلالهِ . أوَلا ينتج من القرائن خلاف ذلك

لا ريب بانَّ الحارث ان تبع قباذ في ضلالهِ انَّما يكون فعل ذلك طمعًا بالامر ومراعاةً لملك العجم ولكن اين الموجب لابنهِ حجر ولحفيدهِ امرئ القيس بان يدينا بدينهِ . ولم يكن داعيًا يدعوهما الى ذلك وكلاهما خارج عن حكم العجم

---

١) راجع روايتهُ في مجموع آبا اليونان لمين (PP. GG., CIII, p. 46)

٢) اطلب تاريخ الحرب الفارسيَّة (B . P., I. 20)

وزد على ذلك انَّ قباذ نفسهُ انتبه لطغيان مزدك في آخر حياتهِ وقام ابنهُ كسرى انو شروان من بعدهِ اكبر عدوّ لمزدك واشياعهِ . أفلا يحسن ان يقال ان الحارث ارعوى عن غيّهِ وانَّ ابنهُ وحفيدهُ ان ضلّا بضلالهِ لم يُصرّا في هذا الضلال لا سيَّما ان حجر ابنهُ كان متولّيًا على قبيلة أسد والمزدكيَّة مجهولة بين العرب

ومهما كان من امر الحارث وحجر ابنهِ فانَّنا لا نوافق مطلقًا حضرة الاب انستاس في زعمهِ بانَّ امرأ القيس دان بدين المزدكيَّة وهو لم يجد دليلًا على بقائهِ في هذا الضلال الّا كونهُ اخذ بثار ابيه وكلّ يعلم انَّ الاخذ بالثارات من عادات كل اهل البادية وتخالف رأسًا مذهب مزدك الذي كان يريد يُبطل الحروب والمقاتلة ويجعل الناس كلّهم اخوة مشتركين في المال والازواج وغير ذلك من التُّرّهات

*

فبأي دينٍ كان اذن يدين امرؤ القيس أبدين الوثنيين ؟ لا نظنّ وقد فنّد حضرة الاب انستاس حجج القائلين بتعبّدهِ للاصنام (ص ٨٩٠, ٩٤٩) فيبقى انَّهُ كان امَّا يهوديًّا او نصرانيًّا ولم يقل احد بيهوديَّتهِ فكان اذن نصرانيًّا ولا نزيد بنصرانيَّتهِ هذه كما مرّ انَّهُ كان متمسّكًا لفرائض الدين المسيحيّ او انهُ كان كاثوليكيًّا . كلّا . وعلى رأينا انَّهُ كان من ملّة النسطوريَّة التي احلّ اصحابها امورًا لم يحلّها غيرهم من النصارى

امَّا ادلَّتنا على نصرانيَّتهِ فهي الآتية :

اوّلًا ابطال مزاعم القائلين بوثنيَّتهِ ومزدكيَّتهِ

ثانيًا خلوّ شعرهِ من آثار الشرك ففي كل ديوانهِ ليس من اشارة تدلُّ على عبادة آلهة العرب في الجاهليَّة

ثالثًا بل تجد اقرارهُ بوحدانيَّة الخالق وبالبعث والنشور مع شواعر دينيَّة ظاهرة كقولهِ : ارى ابلي والحمدُ لله اصبحت ثقالًا اذا ما استقبلتها صعودُها

وكقولهِ : اليوم أُسقَى غير مستحبٍ اثمًا من الله ولا واغلِ

وكقولهِ : والله انجحُ ما طلبتَ بهِ والبرُّ خيرُ حقيبة الرَّحل (١

هذا فضلًا عمَّا كان في قلبهِ من الرغبة في المجد والامور الشريفة والعدول عن حطام الدنيا وهو القائل :

(١ قال الثعالبي في كتاب الاعجاز والايجاز (نسخة باريس ص٩٢) هذا البيت من جوامع الكلم فانَّ فيهِ الاستنجاح بالله ومدح البرّ والحثّ عليهِ

فلو انَّ ما اسعى لادنى معيشة كفاني ولم اطلب قليلٌ من المال
ولكنَّما اسعى لمجد مؤثل وقد يُدرك المجد المؤثل امثالي

رابعاً وفي شعره من الاشارات النصرانيّة ما في غيره من الشعراء النصارى كالاخطل وعديّ بن زيد وعبد المسيح المتلمّس فمن ذلك قولهُ في مصابيح الرهبان :

نظرتُ اليها والنجوم كأنها مصابيحُ رهبانٍ تُشبُّ لقفّال

وقولهُ : تضيءُ الظلام بالعشاء كأنها منارة مُمسى راهبٍ متبتّل

وقولهُ : يضيءُ سناهُ او مصابيح راهبٍ امال سليطاً بالذبال المفتّل

وقولهُ يذكر المقدّس اي الزائر لبيت المقدس يتبارك بثوبهِ صغار النصارى :

فادركنهُ يأخذنَ بالساق والنسا كما شبرق الولدانُ ثوبَ المقدّس

وقولهُ يذكر الإران وهو تابوت النصارى :

وعُشّ كالواح الإران نسأتها على لاحبٍ كالبُرد ذي الحبرات

فهذه القشايه وغيرها تنطق بلسان حالها عن علاقات امرئ القيس مع النصارى

خامساً انتشار النصرانيّة في كندة قبيلة امرئ القيس لمّح الى ذلك حضرة الاب مناظرنا (ص ٩٤٩)

سادساً خروج امرئ القيس الى القيصر يستنجد بهِ وهذا لم يكن ليخطر على بال احد اهل البادية وهو يعلم انَّ القياصرة نصارى متعمقون في الدين لو لم يتّخذ وحدة الدين كوصلة بينهُ وبين القيصر لاسيما انَّ القيصر كان يومئذٍ يستنيان من اشدّ الامبراطورين تحمّساً للدين وانَّهُ (على ما روى العرب) ازوجهُ ابنتهُ

سابعاً ومن الدلائل على نصرانيّة امرئ القيس نصرانيّة عمّتهِ هند بنت الحارث المعروفة بهند الكبرى التي زوّجها ابوهُ من المنذر بن ماء السماء فولدت لهُ عمرو بن هند وهي عمرت دير هند الذي ذكرهُ ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٧٠٩) وقد ذكرنا في المشرق (٥ : ١٠٦٠) الكتابة التي وضعتها في صدرهِ وفيها تدلُّ على نصرانيّتها ونصرانية ابيها الحارث وابنها عمرو بن هند «بنت هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو ... أمة المسيح وامّ عبدهِ وبنت عبيدهِ » فاين يا تُرى يقيت مزدكية الحارث المزعومة ؟

ثامناً وكذا قل عن نصرانيّة امّ امرئ القيس التي تسمّى فاطمة بنت ربيعة بن الحارث وكانت من تغلب واخواها كليب والمهلهل التغلبيّان ولا احد يجهل انَّ تغلب كانت تدين كلُّها بالنصرانيّة

تاسعاً واقوى من ذلك ما كتبهُ المؤرخ نتوز وهذا الرجل العظيم ارسلهُ يستنيان الى الحبشة والى امرئ القيس الكنديّ وهو يدعوه قيساً ليولي امرَ القيس فلسطين فلمَّا عاد الى القيصر واتمَّ ما عُهد اليهِ كتب خبر رحلتهِ في تأليف وقع في ايدي فوطيوس فاختصرهُ في مكتبتهِ الشهيرة (راجع اعمال مين للاباء اليونان ج١٠٣ ص ٤٦—٤٨) قائلاً :

« وقرأتُ ايضاً خبر سفارة نتوز الى الحبشة والحميريين وقبائل البادية . . وكان يتولَّى هذه القبائل قيس حفيد الحارث وهو الحارث الذي ارسل اليه انستاس الامبراطور جدّ نتوز هذا ليعقد معهُ عهداً . كما انَّ ابا نتوز المذكور أُرسل الى المنذر ليفكَّ من الاسر في ايَّام يوسطينوس القائدين الرومانيين تيوستراتس ويوحنَّا — واما قيس الذي أُوفد اليهِ نتوز فكان يتولى امر قبيلتين عظيمتين كندة وسدّ . وكان سبق نتوز ابوهُ فجاء الى قيس سفيراً من قبل يستنيان وضرب معهُ معاهدةً واخذ ابنهُ معاوية كرهن فجاء بهِ الى يرزنطية عند يستنيان . ثمَّ عهد هذا القيصر الى نتوز بأن يواجه قيس ويأتي بهِ الى الامبراطور ان امكنهُ . . . . ثمَّ نتوز اراد القيصر وعاد سالماً الى بلدهِ . ثمَّ يذكر نتوز انَّ ابراهيم اباهُ عاد ثانية الى قيس واقنعهُ بالقدوم الى يرزنطية فتمَّ قيس ولايتهُ على القبائل بين اخويه يزيد وعمرو ونال من الامبراطور ولاية فلسطين وجاء معهُ بعدد لا يحصى من مرؤوسيهِ (١ »

---

١) وهذا النص بحرفه: Φύλαρχος δὲ τῶν Σαρακηνῶν ἐχρημάτιζε Κάϊσος ἀπόγονος Ἀρέθα, καὶ αὐτοῦ φυλάρχου γεγενημένου, πρὸς ὃν ὁ Νοννόσου πάππος ἐπρεσβεύσατο παρὰ Ἀναστασίου τότε βασιλεύοντος ἀποσταλείς, καὶ τὰ πρὸς εἰρήνην ἐσπείσατο. Οὗ μὴν ἀλλὰ καὶ ὁ πατὴρ Νοννόσου (Ἀβράμης δ' ἦν αὐτῷ ὄνομα) πρὸς Ἀλαμούνδαρον φύλαρχον Σαρακηνῶν ἐπρεσβεύσατο, καὶ δύο στρατηγοὺς Ῥωμαίων, Τιμόστρατον καὶ Ἰωάννην, νόμῳ πολέμου συλληφθέντας ἀνεσώσατο· Ἰουστίνῳ δὲ τῷ βασιλεῖ τὴν τῶν στρατηγῶν διηκονεῖτο ἀνάῤῥησιν. Ὁ μέντοι Κάϊσος, πρὸς ὃν ἐστέλλετο Νόννοσος, δύο γενῶν ἡγεῖτο τῶν παρὰ τοῖς Σαρακηνοῖς ἐπισημοτάτων, Χινδηνῶν καὶ Μααδηνῶν. Πρὸς τοῦτον δὴ τὸν Κάϊσον καὶ ὁ Νοννόσου πατήρ, πρὶν ἢ Νόννοσον πρεσβεύειν αἱρεθῆναι, Ἰουστινιανοῦ πέμποντος ἀπέσταλτο καὶ εἰρηνικὰς ἔθετο σπονδάς, ὥστε καὶ τὸν υἱὸν Καΐσου (Μαυΐας δὲ ἐκαλεῖτο) ὅμηρα λαβεῖν καὶ πρὸς Ἰουστινιανὸν ἐς Βυζάντιον ἀποκομίσαι. Μεθ' ὃν χρόνον ἐπρεσβεύσατο Νόννοσος ἐπὶ δυσὶ τούτοις, Κάϊσον, εἰ δυνατόν, πρὸς βασιλέα ἀγαγεῖν, καὶ πρὸς τὸν τῶν Αὐξουμιτῶν ἀφικέσθαι βασιλέα . . . . ὅμως καὶ τὰ δόξαντα ἐξετέλεσεν καὶ σῶος τῇ πατρίδι ἀποδίδοται. Ὅτι Κάϊσος Ἀβράμου πάλιν πρὸς αὐτὸν πρεσβεύσαντος πρὸς τὸ Βυζάντιον παραγίνεται, καὶ τὴν ἰδίαν φυλαρχίαν Ἀμβρῳ καὶ Ἰεζίδῳ τοῖς ἀδελφοῖς διανειμάμενος αὐτὸς τὴν Παλαιστινῶν ἡγεμονίαν παρὰ βασιλέως ἐδέξατο, πλῆθος πολὺ τῶν ὑποτεταγμένων αὐτῷ σὺν αὐτῷ ἐπαγόμενος. (Migne P. G., *Photii Bibl.* CIII, a 6-47)

عاشرًا ويؤيد قول نونز المؤرخ الشهير بروكوب من الكتبة المعاصرين لامرئ القيس وهو يذكر في كتاب الحرب الفارسيَّة (ج ١ ف ٢٠) سفارة رومانيّ آخر يُدعى يليان الى الحبشة والحميريين ومما عُهد اليه ان يطلب منهم :

« ان يحملوا قيس (اعني امرأ القيس) وكان وقتئذٍ ضليلًا هاربًا من وطنه على ولاية سدّ ويضمُّوا قواهم الى قوى جيشه فيهجموا على بلاد الفرس . وقيس هذا كان احد رؤساء القبائل من نسل كريم وذا بطش في الحرب وكان قتل اخًا لاسيميفاوس الحبشي فهرب من وجهه تائهًا (١) »

فهذه الشواهد كما ترى لا تدع ريبًا في نصرانيَّة امرئ القيس ولا نشكّ انّ حضرة الاب انستاس مع جميع الادباء يعيرونها بالًا . ولله الحمد على كلّ حال

أعلام الاسفار المقدَّسة وكتابات مريشة المدفنية

نظر الاثريّ يوسف اوفرد احد اعضاء جمعية الحفريَّات الاثريَّة الانرنسية

شائقنا ما نشرتهُ آخرًا جمعية الحفريَّات الانكليزيَّة في فلسطين (PEF) بخصوص موقع مدينة مريشة احدى مدن السامرة المذكورة في الاسفار الالهيَّة وما وجد فيها من المدافن . وهذا التأليف المهمّ تولَّى طبعهُ العالمان تيرش وبترس وهو يتضمَّن عدَّة كتابات دُوِّنت على قبور بعض مشاهير الرجال والمرجَّح انهم ادوميُّون تتألَّف اسماؤهم من مقاطع اوَّلها مقطع « قوس » نحو « قوسناتانوس » و « قوسبانوس » وهلم جرًّا

فالاسم « قوس » الذي تتركَّب منهُ هذه الاعلام انَّما هو اسم الاله « قوس » او « قوز » معبود الادوميين الذي ذكرهُ يوسيفوس المؤرخ في عادياته (Ant. Jud. XV, 7,9).

(١ وهذا اصله: Τότε δὲ Ἰουστινιανὸς ὁ βασιλεὺς ἐν μὲν Αἰθίοψι βασιλεύοντος Ἑλληθεαίου, Ἐσιμφαίου δὲ ἐν Ὁμηρίταις πρεσβευτὴν Ἰουλιανὸν ἔπεμψεν, ἀξιῶν ἅμφω Ῥωμαίοις διὰ τὸ τῆς δόξης ὁμόγνωμον Πέρσαις πολεμοῦσι ξυνάραισθαι . . , Ὁμηρῖται δὲ ὅπως Καῖσὰν τὸν φυγάδα φύλαρχον Μαδδηνοῖς καταστήσωνται καὶ στρατῷ μεγάλῳ αὐτῶν τε Ὁμηριτῶν καὶ Σαρακηνῶν τῶν Μαδδηνῶν ἐσβάλωσιν ἐς τὴν Περσῶν γῆν. (ὁ δὲ Καῖσὰς οὗτος γένους μὲν ἦν τοῦ φυλαρχικοῦ καὶ διαφερόντως ἀγαθὸς τὰ πολέμια, τῶν δέ τινα Ἐσιμφαίου ξυγγενῶν κτείνας εἰς γῆν ἔφευγεν. ἡ δὲ ἔρημος παντάπασιν ἀνθρώπων ἐστίν.) ἑκάτερος μὲν οὖν τὴν αἴτησιν ὑποσχόμενος ἐπετέλη ποιήσειν τὸν πρεσβευτὴν ἐπεπέμψατο, ἔδρασε δὲ αὐτοῖν τὰ ὡμολογημένα οὐδέτερος. (Procop., B. P. I, 20)

وقد وسّع صاحبا مدافن مريشة نطاق بحثهما عن الاعلام الساميّة الشبيهة باسم كوس فعارضا بينها واستنتجا من المقابلة نتائج لغويّة ودينيّة ذات بال

ومما يجدر ذكرهُ هنا ان لفظة « قوز » الادوميّة توافق في العربيّة « قزح » مع تليين الحاء كما انها توافق لفظة قوس الداخلة في تركيب بعض الاسماء الاشوريّة مثل « قوس جبر » ومنها اشتقّ « قوس » اسم بعض آلهة العرب او النبط واسم « قيش » او « قيس » لاله من معبودات العرب يُرى اسمهُ في تركيب بعض الاسماء كعبد قيس وامرئ القيس

وهذه المقابلة بين الاعلام الساميّة والاسماء التي وردت في كتابات مدافن مريشة لما يوضح الحقائق التي ينبغي على الدارسين النظر فيها . وقد كتبنا هذه الاسطر لنزيد الامر بياناً بايراد بعض ملاحظات جديدة

وقد كتب الاستاذ هلپرخت الشهير مقالة حديثة نشرها في المجلّة التي عنوانها (Sunday School Times) مدارها على الاعلام العبرانيّة والآراميّة المركبة الواردة في الكتابات البابليّة والاشوريّة فسرد لهذه الاسماء جدولًا قرأنا فيهِ اسمين يقربان من اسم قوز المذكور وهما « قوسبرو » و« قوس » . وكذلك وجد المعلم ساس (Sayce) في اثر آرامي مكتوب على البردي اسمَ الاله « قوزري »

اما اسم الاله « قزح » العربي الذي اثبتنا علاقتهُ مع اسم « قوز » فقد وجد الدكتور جسترو (Jastrow) انهُ من الاعلام الاشوريّة يُرى في تركيب اسم « خوزا ايلو » . وذكر الدكتور پنيز كتابةً للملك داريوس جاء فيها علَم رجل اسمهُ قوزاياذا (١

ولا تخلو الاسفار الالهيّة من اعلام دخل فيها اسم « قوس » وذلك على الاقلّ في اثنين . الاولى في سفر عزرا الثاني (٢ : ٥٣) حيث ذُكر اسم برقوس (ברקוס) وفي الترجمة السبعينيّة (Βαρκως) اي ابن قوس والثانية آية لوقا (٣ : ٢٨) « ابن قوسام » (Κωσαμ) وفي العبرانيّة على ما روى الدكتور دليتش

وكذلك ورد في الكتب المقدّسة علم مدينة « ألقوش » في نبوّة ناحوم ويجوز ان

---

١) وورد في الكتاب المقدّس اسم قرشياه . وفي معجم التوراة لمستكس مقابلة بين « برقوس » والاسم البابلي « برقوسو » الّا انّ الكاتب لم يُشر الى النصّ الذي ورد فيهِ هذا العلم (قلنا) انّ اسم برقوسو مذكور في هلپرخت (Babyl. Expedit... IX, 27) راجع ايضاً (Schrader : *Die Keilinschrift. u. d. Alt. Test.*, 473)

يقابل هذا الاسم بمكان لملك بابل لشور بنيبال يُدعى قزاي (Kozai) ويجمع بينهُ وبين حيراتا (Hirata) وفي قولهِ ما يفكّر القرّاء باسم مدينة مذكورة في سفر يشوع تُدعى عنه قصيو (١ (עחחקציו)

وممّا جاء ايضاً في هذا المعنى ما كتبهُ المسيو درنبورغ في بعض مقالاتهِ حيث ذكر الاله المشتري قزيوس (Zeus Kazios) الذي وُجد اسمهُ في جملة المعبودات في كتابة اكتُشفت بجوار انطاكية ويجعل علاقة بينهُ وبين اله العرب المسمّى في الجاهليّة قوساي (٢

فمن هذه المقابلة ينتج ان الاسم العلم قوز او قوس او قيس مشتقّ من اسم احد آلهة قدماء الساميين لمّا اصلهُ الاوّل فلا بُدَّ من البحث عنهُ في الآثار الساميّة البابليّة او الاشوريّة في جدول اسماء الآلهة القديمة . ولعلّ بعض المتاحف مثل متحف فيلادلفيا في الولايات المتحدة يمكنها ان تجد في خزائنها مثل هذا الاثر المطلوب فيتبيّن معناهُ الاصليّ المفقود (٣ ان شاء الله

مطبوعات شرقية جديدة

كتاب الاتقان في صرف لغة السريان

للمطران يوسف دريان مطران طرسوس شرفًا والنائب البطريركي الماروني وظيفةً
طبع في مطبعة الارز في جونية سنة ١٩٠٥ (ص ٤٤٦)

من وقف على هذا التأليف تحقّق لاوّل وهلة من اختلاف طبعهِ واجناس ورقهِ انّهُ عمل سنين متعدّدة وشغل رجل توفّرت على عاتقهِ اعباء المناصب التي تولّاها خدمةً لطائفتهِ الّا انّ ما آتاهُ الله من الحزم والثبات لم يزل يستحثّهُ على انجاز مشروعهِ حتّى

١) هذه المقابلة تظهر لنا بعيدة لاسباب اخصُّها بُعد التشابه فان كانت القوش هي قزاي كما قال الكاتب فكيف يجوز القول بان القوش هي ايضاً عنه قصيو (المشرق)

٢) لا نظنّ انهُ يوجد بين هذين الاسمين الّا تشابه لفظي وذلك لا يكفي ليبان اتّفاقهما (المشرق)

٣) من اراد الوقوف على ما يختصّ بالاله قوس عليهِ بمراجعة كتاب العلّامة شرادر الذي سبق ذكرهُ في الحواشي ثمّ لينظر كتاب العلّامة الاثري هومل الذي عنوانهُ خلاصة جغرافية وتاريخ الشرق Hommel : *Gruudriss der Geogr. u. Geschicht des Orients* (I. 164 (1994))

انتهى منهُ آخرًا . ونحن اوّل من يُبشر بنشرهِ لرغبتنا في ترقي الآداب السريانيّة التي تأسف على خمولها في بلادنا بينما يُقبل العلماء المستشرقون على درسها ويجنون ثمارها الطيّبة . وهذا الكتاب الجديد لمّا يساعد على ادراك تلك الغاية الشريفة بسهولة طريقتهِ ووضع تقاسيمهِ وقرب منال شروحهِ فضلًا عن ابتكار خطّتهِ . على انّ سيادة المؤلف لم يقصد بهِ الخوض في الابحاث العلميّة التي تجدها في انشئة الكتبة مثل نلدكه ودوفال وان لم يخلُ الكتاب من ملحوظات عديدة تدلُّ على دقّة نظرهِ ينتقد فيها على بعض من تقدّمهُ لكنهُ في كلّ ذلك لم يعدل عن الاسلوب المدرسيّ . ويا ليت المطبعة التي عُنيت بنشر هذا التأليف أتقنت مادّياتهِ كما احكم المؤلف المفضال مضامينهُ . ونحن لا يسعنا الّا ان نهنّئ سيادتهُ على هذا الاثر الجديد الدالّ على همّتهِ البعيدة ونشاطهِ المشكور ونتمنّى لتأليفهِ رواجًا سريعًا

مدرسة نصيبين الشهيرة

نبذة تاريخيّة في اصلها وقوانينها

للسيّد ادّي شير رئيس اساقفة سعرد على الكلدان طُبع في بيروت (سنة ١٩٠٥ ص٦٤)

قلّما اشتهرت مدرسة في عهد ملوك الروم اشتهار مدرسة نصيبين التي بلغت مدّة نيّف وثلثمائة سنة مقامًا رفيعًا في آدابها وعلومها الدينيّة والدنيويّة حتى انّ الطلبة كانوا يقصدونها من جميع انحاء الشرق . وكان لهذه المدرسة رؤساء قانونيّون ورسوم مقرّرة لنظام دروسها وسياسة طلبتها . وبقيت مدرسة نصيبين زمنًا طويلًا كعمود الكنيسة الكاثوليكيّة والتعاليم الارثدكسيّة الى ان سرى اليها روح البدع وزُرع فيها زوان النسطوريّة فلم تلبث ان تنحطّ شيئًا فشيئًا فباد ذكرها في اواسط القرن الثامن . والعلماء الاوربيون كالاب حنّا شابو والعلامة غويدي نشروا في ذكر هذه المدرسة فصولًا مطوّلة واطرأوا مناقبها وعدّدوا آثارها ولكنهم مع كلّ ذلك فاتهم امور كثيرة لم يطّلعوا عليها وقد اسعد الحظّ سيادة مطران سعرد السيّد المفضال ادّي شير الكلداني على وجود مقالة خطيرة لبرحدبشبّا غريبا احد كتبة اواخر القرن السادس ذكر فيها اصل مدرسة نصيبين والرؤساء الذين تولّوا تدبيرها . وهي لم تُنشر حتى الآن فاستعان بها سيادتهُ الى كتابة تاريخ تلك المدرسة الشهيرة ومدبريها وأعلامها وزاد عليها اشياء عديدة لم تبلغ معرفة الكتبة قبلهُ فتمكّن بذلك إصلاح اغلاط عديدة وهم بها اسلافهُ .

ولا شكَّ ان المستشرقين يتلقَّون هذه الطرفة بملْ الفرح. وهي طُبعت طبعاً نظيفاً وان وقع بعض اغلاط طبعيَّة في الفاظها واعلامها الاعجميَّة ل.ش

K. FEYERABEND. **Taschenwoerterbuch der hebraeischen und deutschen Sprache.** (Méthode Toussaint-Langenscheidt). *Berlin, Langenscheidt,* 1905, 306 pp.

معجم الجيب في العبرانيَّة والالمانيَّة

يدخل هذا المعجم في جملة معاجم أُخرى متناسقة على شكله باشر بنشرها منذ بضع سنوات الطبَّاع لنغنشيت في برلين للطلبة الالمان وغيرهم وهذا المجموع لم ينجز حتى الآن ينقصهُ بين اللغات الاوربيَّة معاجم اللغات الصقليَّة . ومن ثمَّ لم نكن لننتظر صدور معجم عبرانيّ بعد معاجم أُخرى اوربيَّة في الانكليزيَّة والايطاليَّة والبرتغالية واليونانيَّة . والكتاب الجديد كاخوته السابقين في حُسن طبعهِ واحكام تجليدهِ ورشاقة قدّهِ . لمَّا موادُّهُ فكافية للمبتدئين يحتوي الالفاظ العبرانيَّة الواردة خصوصاً في الاسفار التاريخيَّة من التوراة ولذلك قد جُعل ثمنهُ متهاودًا (اعني مركَّبين)

F. BUHL. — **W. Gesenius' hebraeisch. u. aramaeisch. Handwoerterbuch uber das A. T.** 14te Auflage, petit 4° à 2 Kol. 1905, XVI-932 pp., *Leipzig. F. C. W. Vogel.*

معجم غازنيوس العبرانيّ والارامي (طبعة بول)

ان قاموس غازنيوس العبراني والارامي كما صحَّحهُ العلَّامة بول كان بلغ طبعتهُ الثالثة عشرة وناهيك بذلك دليلًا على انتشارهِ . وها قد صدرت اليوم طبعتهُ الرابعة عشرة اعاد المصحح نظرهُ فيها فزادها حسنًا على حسن . ومن تحسيناتها انَّ صاحبها كبَّر قليلًا حجم الكتاب واتَّخذ له حروفًا صغيرة في الشروح التمهيديَّة وفي الشواهد التي يستشهد بها وفي تعريف اصول الكلمة وبيان الكتب التي وردت فيها . بحيث يصح القول ان هذا القاموس ذا العمودين يشمل موادَّ عدَّة مجلَّدات وان لم يتجاوز عدد صفحاتهِ ٩٣٢ صفحة — وكان المسيو بول الذي يدرّس اليوم العبرانيَّة في كليَّة كوبنهاغ قد استعان في طبعتهِ السابقة بعالمين شهيرين الدكتور تسيرن (Zimmern) الضليع باللغة الاشوريَّة والدكتور سوتسين (Socin) من علماء العربيَّة . وفي هذه الطبعة لم يُذكر غير الاوَّل بعد وفاة سوتسين وانَّما يُذكر عوضًا عنهُ المعلّم مولر W. M.)

(Müller الذي اخذ على نفسهِ الشروح المبنيَّة على الاصول الهيروغليفية — ومع كل هذه التحسينات قد بقي الكتاب على ثمنهِ السابق (١٨ مركاً) فنثني عليهِ الثناء الطيِّب ونحضُّ الدارسين على استعمالهِ كما اتخذناهُ نحن لدروس مكتبنا الشرقيّ . ومما نؤملهُ لطبعة أُخرى اصلاح الحروف الشرقيَّة التي لا توافق اجسام الحروف الاوربيَّة الصغيرة . ولنا كذلك ملحوظاتٌ اخرى عرضيَّة يضيق بنا المقام عن ايرادها س . ر

شذرات

قناة السويس انَّ اشغال قناة السويس متواصلة لا يزال اصحاب الشركة يهتمُّون اما بزلها واما بتوسيعها او تحسينها ودونك دليلاً على هذه التحسينات منذ أُنجز عملها لاوَّل مرَّة سنة ١٨٦٩ . كان عمق القناة ثمانية امتار وعرضها ٢٢ متراً على طولها البالغ ١٦٠ كيلومتراً وكانت الاحواض متباعدةً بعضها عن بعض بعشر كيلومترات وطول كل حوض الف متر وبقيت هذه الحال الى سنة ١٨٧٥ فسعى ارباب الشركة بتسوية ضفَّتي القناة وازالة توريباتها فانتهت من ذلك سنة ١٨٨٤ ثمَّ زادت في عمق القناة نصف متر على طولها . وفي سنة ١٨٨٧ اتُّخذت لتنوير القناة النور الكهربائي . وباشرت بعد سنة تعريض القناة فبلَّغت بُعد ضفَّتيها ٣٣ متراً فصارت المراكب تسير ذهاباً واياباً دون ان ترسو في الاحواض وجُعلت هذه الاحواض على بُعد كل خمسة كيلومترات وطولها لا يقلّ عن ٧٥٠ متراً اما عمقها فتسعة امتار ونصف . اما غور القناة فحُفر الى ٩ امتار واليوم قد عزموا على ان يجعلوا عمقها في طول ممرّها ٤٥,٩ س كما انهم يهتمُّون بتوسيع عرضها . اما سطح الترعة فيبلغ اليوم شمالاً من ٩٠ متراً الى ١١٠ م وجنوباً من ٧٥ الى ٩٠ . ولا تزال ترعة سويس من عجائب اعمال ازمنتنا الاخيرة

تهم العصافير ليس بين الحيوان أنهم من العصافير الَّا انَّ العلماء لم يختبروا عملياً مقدار ما تلتهمهُ من المآكل وقد عمد مؤخراً احد علماء برلين اسمهُ فيسن (Fissen) الى عصفور من جنس الحسُّون كان ثقلهُ ١٦ غراماً ووزن مدَّة شهر ما يلتقيهِ لمامهُ من الحبوب وغيرها لاكلهِ فكان جملة ما ازدردهُ في تلك المدَّة ٥١٢ غراماً اعني ٣٢ مرَّة قدر ثقله فيكون اكل يومهِ الواحد اكثر من ضعفي جسمهِ .

فاسمري لو اكل الانسان آكلًا كهذا لمات نصف البشر جوعًا لقلّة ما يدّون جوعهم

الجعة في اوربّة ليس بين المشروبات في اوربّة لشيع من الجعة او البيرة. امّا البلاد التي لها القدمية في ذلك فاوّلها المانية لها ١٨٣٢٠ معملًا. فتصطنع ٦٧ مليونًا ونصف مليون من الهكتولترات. يليها انكلترة ومعاملها ٣٥٤٧ تستحضر ٥٨ مليون هكتولتر بلجيك. ثم النمسة معاملها ٣١٤٦ تصطنع ١٩ مليون هكتولتر ونصف. ثمّ بلجكة ومعاملها ٣٢٤٦ ومصطنعها ١٤ مليون هكتولتر وفرنسة تليها مع ٣٣٦٠ معملًا يخرج منها ١١ مليون هكتولتر ولا تصطنع روسية بعدها سوى ٧ ملايين هكتولتر في ٩٢٠٥ معملًا وهلم جرًّا. امّا مجموع ما يصطنع من البيرة في اوربّة كلها فقريب من ٢٥٠ مليون هكتولتر اعني ٢٥ مليارًا من اللترات فلو قسم ذلك على كلّ افراد بني آدم لنال كلًّا منهم ١٨ لترًا

أسئلة واجوبة

س سألنا احد افاضل الكهنة في حلب ما هي الدولة العيلاميّة التي ذكرنا كتابتها في المشرق (ص ٧٧١) وماذا يُعرف من تاريخها

الدولة العيلاميّة

ج هذه الدولة من اقدم الدول المعروفة في العالم وقد جاء ذكرها غير مرّة في سفر التكوين وهي منسوبة الى عيلام بن سام واخي اشور (تك ١٠: ٢٢) ملك ابناؤه على قسم من البلاد الموافقة اليوم لتخوم العجم الجبليّة وكانت تشمل ناحيتين كبيرتين بلاد اتران وبلاد شوشن. وقد اختلط بني سام قبائل أخرى سوداء حاميّة ذات لغة وعادات مختلفة عنها. وكان للعيلاميين امراء او ملوك يخضعون في الغالب للملوك الكلدان وربّما خلعوا ربقتهم وعاشوا مستقلّين. وكانت اخبار هؤلاء العيلاميين مجهولة حتّى استخرج المسيو دي مرغان من حفريّات شوشن الآثار الجليلة التي كشفت للعلماء اعمالهم الخطيرة ومما وجد لهم هياكل وقصور وتماثيل وحليّ وكتابات عديدة على الآجر يرتقي بعضها الى الالف الرابع قبل المسيح بينها مسلّة للملك منشتوسو تاريخها نحو سنة ٣٨٠٠ ق م وكتابة الملك نرام سين يصف بها انتصاراته دوّنها سنة ٣٧٥٠ ق م وشرائع حمّورابي الشهيرة وغير ذلك مما نُقل الى باريس فيزوره الزوّار في متحف اللوفر ل. ش